الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة الخامسة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤٢هـ - تشرين الثاني ٢٠٢٠م
العدد ٤١١

أيها المسلمون، أبشروا،

التطبيع مع (إسرائيل) من علامات زوالها

دين جديد برعاية إماراتية سعودية مصرية: الدور المصري في تحريف الدين ص٢١
الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية ص٧
الهوية الحضارية للأمة الإسلامية ص١٥

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة *الوعي*: أيها المسلمون، أبشروا، فإن التطبيع من علامات زوال (إسرائيل) ٣
- الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة(١) ٧
- الهوية الحضارية للأمة الإسلامية، ضمانة الرقي والنهوض والخيرية!(١) ١٥
- دين جديد برعاية إماراتية سعودية مصرية: ٣- الدور المصري في تحريف الدين ٢١
- أخبار المسلمين في العالم ٢٨
- مع القرآن الكريم: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ...﴾ ٣٢
- رياض الجنة: أحاديث في فضل القرآن الكريم وثواب قراءته ٣٧
- أعمل عقلك ولا تكن إمعة ٤٠
- حدائق ذات بهجة: أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه مِثال الخلفاء الراشدين الأوَّل ٤٣
- كلمة أخيرة: (إسرائيل) تتلاعب وتستغل وسائل التواصل الاجتماعي ٥١
- الغلاف الأخير: «الغرب مجرد حضارة لصوص»!! ٥٢

العدد ٤١١
السنة الخامسة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤٢هـ
تشرين الثاني ٢٠٢٠م

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

أيها المسلمون، أبشروا، فإن التطبيع من علامات زوال (إسرائيل)

بعد قيام الثورات في بلاد المسلمين معلنة إرادتها في إسقاط عملائه من الحكام، أدرك الغرب أن هذه الأمة مستعصية على الخضوع له مهما حاول، فوضع من بعدها خطته التي تقضي بالقيام بكل ما تحدثه به نفسه الشيطانية من أعمال تجعل المسلمين لا تقوم لهم قائمة بعد الآن، ولا تلتفُّ لهم ساق على ساق، وتولَّوا بأنفسهم مهمة تنفيذ هذه الخطة، ونقلوا عملاءهم من الحكام إلى مرحلة الجهر بالخيانة ضد دينهم ونبيِّهم وقضاياهم المصيرية هكذا من دون حجاب، والإيغال في اضطهاد المسلمين وقتلهم وتهجيرهم وتشريدهم ونكايتهم وتخريب بلادهم وتفتيت وحدتهم بإثارة النعرات الطائفية والعرقية والمذهبية بينهم... وفي بلاد المسلمين التي قامت فيها ثورات، قاموا وما زالوا يقومون بانتقام فظيع من الناس لقيامهم بهذه الثورات... حتى تكون رادعًا وعبرة لمن يريد أن يحذو حذوهم. كل ذلك يحدث والمسلمون كما قال رسولهم الكريم: «**يحاطون بالظالمين من كل مكان... ولا يجدون على الحق أعوانًا**» وكان من مظاهر حربهم العالمية على الإسلام، فوق ما ذكرنا، (**الهجمة الشرسة على الإسلام السياسي**) مدعين أن الإسلام هو فقط دين شعائري تعبدي أخلاقي... وكذلك قاموا بـ (**الإساءة إلى الرسول**) بكل ما فيه من تحدٍّ للمسلمين في أقدس مقدساتهم... وأعلنوا مؤخرًا الانتقال إلى (**مرحلة التطبيع العلني**) مع كيان يهود وتسريعه هكذا جهارًا نهارًا بمعزل عن المسلمين وعدم اكتراث بأقدس قضاياهم... وهكذا يمضي الغرب في خطته المجرمة هذه بشكل مفتوح لا تقيِّده قوانين دولية ولا تحدُّه قيم، وبشكل معلن مقصود، الهدف منه أن يَهزمَ المسلمين في دينهم، وأن يُنسيَهم مطالبهم بالانفكاك عنه واستبدال استعماره بإقامة حياتهم على نور من ربهم. ولكن أنَّى له ذلك.

إن ماضي الغرب وحاضره في التعامل مع المسلمين مليء بالغدر والإجرام والتشفِّي والانتقام، على عكس تعاملنا معه طيلة الفترة الماضية الطويلة من الصراع، لقد حملنا له إشعاع العلوم بعد أن كان جاهلًا، وهديناه إلى نور الحضارة بعد أن كان همجيًا، وأدخلنا الكثير من أهله في ديننا فأصبحوا إخوانًا لنا... بينما هو لم يحمل لنا سوى الاستعمار بكل مثالبه... وحتى مع كتابة هذه الكلمات، ونفس الذي يكتبها تكتوي ألمًا لما يحدث للمسلمين من إجرام موصوف ومكر مكشوف، فإننا إذا ما منَّ الله علينا بكشف هذه الغمَّة والظهور من جديد على الغرب وعلى غيره، فإن نفوسنا لا تحمل إلا الخير للغير، ولئن يهدي الله عدونا خير لنا من أن ننتقم منه، هكذا

علمنا رسول الرحمة سيدنا محمد ﷺ الذي يهاجمونه، بقوله: «**لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها**» وفي هذا قوة لمبدأ الإسلام وحضارته ما بعدها قوة، وسقوط للمبدأ الرأسمالي المتوحش... ولكننا في الوقت نفسه، فإننا في طلب الحق لا يعلو على أمر الله عندنا أمر، كائنًا ما كان، وعند المناجزة واللقاء فإننا لا نهاب الأعداء، لا نخشى إلا الله، ولا نطلب إلا رضاه. وبالدعوة نفتح القلوب، وبالجهاد نشفي الصدور.

واللافت في هذا الصراع هو أن المسلمين، بالرغم من كل هذا الإجرام الموصوف بحقهم، ازدادوا تمسكًا بدينهم، وبدَوا أكثر إصرارًا على العودة إلى العيش في كنف الإسلام، وتتوق نفوسهم إلى حكم الخلافة الراشدة التي يعتبرونها نموذجهم الأمثل بعد عهد النبوة، ويرونها تؤمن لهم حياة التقوى والإيمان والعزة والتمكين ونشر هذا الدين... وهذا عكس ما خطط له الغرب وهدف إليه من جعل المسلمين يستسلمون له ويرضون بما يقسمه لهم من طريقة عيش حيوانية شهوانية مقطوعة الصلة بالله...

أما مهاجمة الإسلام السياسي والعمل مع حكام المنطقة على منع أي عمل سياسي على أساس الإسلام، بل **والأخطر من ذلك**، العمل على تحوير الإسلام والادعاء باطلًا أن الإسلام دين روحي أخلاقي فحسب وليس فيه سياسة، وأن الخلافة هي مرحلة تاريخية ارتضاها الصحابة للحكم بموجبها وليست أحكامًا شرعية ملزمة، وبالتالي فإن على المسلمين أن يرتضوا اليوم غيرها لأنها لم تعد صالحة للحكم اليوم كما كانت بالأمس. **والأدهى من كل ذلك**، فإن هناك من علماء السوء مَنْ فتاواهم جاهزة لتحلَّ حرام الحكام، وتحرِّمَ حلال الشرع، وهذا يعني أن فتاواهم ستكون فتاوى أمريكية وفرنسية وبريطانية ما أنزل الله بها من سلطان... حقًا، إنها لفتنة لهؤلاء العلماء تجعلهم شركاء متكافئون في الإثم مع الحكام.

إن ما يتصرف به الغرب والحكام في بلاد المسلمين فيما يتعلق بمهاجمة الإسلام السياسي أو ما يسمونه بـ **(الإسلاموية)** إنما هو اعتداء على الدين الإسلامي، وهو إن يفعل ذلك فلأنه وجد أن الأمور تسبقه وخشية أن يفاجأ بوصول الإسلام إلى مسرح السياسة الدولية، وفي ذلك ما فيه من خطر وجودي ماحق لحضارتهم الفاسدة. فحقيقة الأمر، إن الغرب هو المهزوم في هذه الحرب الحضارية، ويحارب الإسلام ليمنع سقوط حضارته. والجدير ذكره هنا، إن الحروب الحضارية سلاحها قوة الفكر وصحته وقدرته على معالجة كل شؤون الحياة معالجة صحيحة تؤدي إلى اطمئنان الحياة واستقرارها، وهو ما يفتقد إليه العالم اليوم.

أما الإساءة إلى الرسول ﷺ، والتي تتجدد من وقت لآخر، والغرض من تجددها قياس ردة فعل المسلمين، هل ضعفوا واستكانوا؟ أم ما زالوا يحتاجون إلى مزيد من الضغط؟ وما رأيناه من ردات فعل طيبة من المسلمين تجاه رسولهم جعلت عدوَّهم من حكام الغرب وعملائهم من حكام المسلمين العملاء له يتأكدون أن الأمة تتجه نحو مزيد من الصحوة وليس العكس. وإثارة هذا الموضوع بهذا الشكل هو بحد ذاته، إن دل فإنما يدل على إفلاس حضاري، وخاصة عندما يتولى كبر الإساءة شخصيات علمانية تدعي الرقي في الفن أو الفكر، فهؤلاء إن كان عندهم مآخذ على الإسلام ورسوله ﷺ فليطرحوها للمناقشة والبحث الجاد عن الحقيقة، لا أن يسِفُّوا بأنفسهم ويهوَوا بها إلى الحضيض. ولهؤلاء العلمانيين الذين اتخذوا الرذالة أسلوبًا لـ «حرية التعبير» نقول: إذا كنتم حقيقة تريدون الحق ومناقشة المسلمين في دينهم ورسولهم فأجمعوا أمركم، فهناك آلاف من المفكرين المسلمين خبروا على أرض الواقع فشل الديمقراطية وظلم الرأسمالية وفراغ العلمانية، وتاريخ دولهم المظلم... فلتقم المحاضرات والندوات والمناظرات الهادئة الهادفة عبر وسائل التواصل، بينكم وبين من يناقشكم منهم ويرد عليكم، أم أنكم أفلستم فلم تعودوا تملكون إلا التهجم على أشرف الخلق على الله وعلى المؤمنين...

أما التطبيع مع الكيان الغاصب، ونقله من السر إلى العلن، وتسريعه... فإنه يصدق فيه قوله تعالى:﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾. ومن خيره أنه كشف وسيكشف حقيقة حكام المسلمين العملاء للغرب كلهم، ومن غير استثناء، وأولهم آل سعود، تلك العائلة المشبوهة التي أمعنت في العمالة حتى ما رأى حاكمها مؤخرًا إلا توريد الفسق إلى أهلها، والتماثيل إلى أرضها، وها هو يستعد الآن للانضمام إلى قائمة المطبِّعين... وكشف العلماء الذين يقولون بما يقول حكامهم (كما تقول الببغا)... كشفت أن معدن الأمة صلب ودينها حي؛ حيث وقفت من أقصاها إلى أدناها ترفض عملية التطبيع وزادت الشرخ بينها وبين حكام الخيانة والخذلان... وكشفت كيف أن الغرب يتصرف من موقف ضعف وليس من موقع قوة إذ لم يستطع أن يحوِّله إلى سلام شعوب، بل بقي في المربع الأول الذي ولدت فيه وهو أن الأمة لم ولن تقرَّ بأي اتفاق يعقده هؤلاء الحكام، فهو بنظرهم اتفاق معدوم... إذًا فكيف يرى المسلمون حلَّ قضية فلسطين؟

إن المسلمين ينظرون إلى الحل من خلال النصوص الشرعية التي تبيِّن أن الحل يتعدى استرداد الأرض المباركة إلى قتالهم ليهود وقتلهم، والقضاء على دولتهم، وينظرون إلى أنه لا يمكن استرداد فلسطين عن طريق هؤلاء الحكام العملاء من غير استثناء وإنما عن طريق عباد

الله المؤمنين، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**تقاتلكم اليهود فتسلَّطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»... ويرى المسلمون أن تطبيع حكام المسلمين سيعطي الشعور بالأمان للشعب اليهودي المشتَّت في بقاع الأرض والتجمع في فلسطين، وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال:﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾، ومن ثم، وبعد اجتماعهم هذا، ستأتي فترة القضاء عليهم، وذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ وفي الواقع، فإن اليهود حبلهم مقطوع مع الله، موصول مع أئمة الكفر من الدول الرأسمالية المعادية للإسلام والتي تكيد له كيدًا. ودول الكفر اليوم مجتمعة مع اليهود على العداء للإسلام والمسلمين، وهم معًا يسعَون ذلك المسعى الخبيث في عملية التطبيع على ما ذكرنا... وفي الوقت نفسه، يرى المسلمون أن النصوص الشرعية تبين أن هذا الزمن هو زمن الخلافة الراشدة الموعودة التي ستتولى هي مهمة القضاء، ليس على يهود فقط، بل ستقطع الحبل الذي بينهم وبين دول الغرب الذين يمدونهم في الغي ولا يقصرون؛ وذلك من قوله ﷺ: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**» فالخلافة الراشدة قد آن أوانها، والعمل لإقامتها قد قطع بفضل الله معظم الطريق، وهو ينتظر من الله أن يأذن بأن يهيئ لهذه الدعوة أهل قوة ينصرونها، والغرب يحسُّ بذلك ويصرح محذرًا منه، ولكنه لا يستطيع منعه رغم كل إجرامه؛ لذلك هو يتصرف بتوتر. ومن نعم الله وفضله، أنه يوجد على أرض الواقع حزب رائد ودعوة راشدة قد قطعت بهذا الفرض معظم مسافته، واجتازت كل مراحله، وباتت على الأبواب، ألا وهو حزب التحرير، وهذا يعني أن الحزب، والأمة معه، يأخذون وسيأخذون دورهم في كتابة تاريخ الأمة وتاريخ البشرية عامة وصنعه من جديد في هذه الفترة.

وجمعاً بين الآيات والأحاديث والواقع، فإن المتوقع في هذه المرحلة من الزمن أن يحدث تطبيع الحكام الواسع مع يهود، يعقبه تجمع يهود الشتات المنتشرين في العالم في الأرض المباركة، ثم إقامة الخلافة الراشدة الموعودة بحسب البشرى، ثم القضاء عليهم بحسب الوعد... فالأمة لا تقبل بأقل من القضاء على دولة (إسرائيل) وعملية التطبيع هذه تعني من الناحية الشرعية اقتراب القضاء على يهود، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة[1] (١)

الساريسي المقدسي - بيت المقدس

صدم رئيس وزراء بريطانيا بوريس جونسون مواطنيه بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٢م بشأن وباء فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)قائلًا: «سأكون صريحًا معكم، ومع كل الشعب البريطاني، عائلات كثيرة، كثيرة جدًا، ستفقد أحباءها قبل أن يحين وقتهم» وتحدَّث كبير المستشارين العلميين للحكومة البريطانية باتريك فالانس إلى احتمال ترك فيروس كورونا يصيب نحو أربعين مليونًا من سكان المملكة المتحدة، أي ٦٠٪ من السكان، للوصول إلى «مناعة القطيع»، (الجزيرة نت: ٢٠٢٠/٣/١٥م). وأشارت كبرى مجلات السياسة الخارجية الأمريكية «فورين بوليسي» في تقريرها إلى اعتراف حكومة جونسون بأن استراتيجيتها بالسماح للفيروس بالانتشار وبناء الحصانة كانت فاشلة. ونقل عن الدكتور تيدروس غيبريسوس، المدير العام لمنظمة الصحة العالمية: «فكرة أن البلدان يجب أن تتحول من الاحتواء إلى التخفيف هي فكرة خاطئة وخطيرة». (القبس: ٢٠٢٠/٣/١٤م). فما هي خلفية سياسة «مناعة القطيع» البريطانية في إطار فلسفة الحضارة الرأسمالية القائمة؟ ولماذا فشلت وتراجعت بريطانيا عنها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه بالغوص في المفاهيم المؤسسة لحضارة الرأسمالية.

تنهض هذه المقالة على فرضية أن جذر وأساس الرأسمالية فاسد، لأنه يقوم على النظرة الداروينية للحياة، والتي ولدت من رحم نظرية الحق الطبيعي ووهم التطور، وهذه النظرة الداروينية تلحظ في فكر العديد من المفكرين الغربيين - وخصوصًا الإنجليز- كآدم سميث واضع قواعد الاقتصاد الرأسمالي.

وكذلك يمكن تتبع جذورها لدى منظري الحق الطبيعي والعقد الاجتماعي ونشوء الدولة كتوماس هوبس وجون لوك وروسو ومالثوس، والتي طرحت كبديل لنظرية الحق الإلهي، وقد تبلورت هذه النظرة الرأسمالية الداروينية للحياة بشكل واضح لدى تشارلز داروين، ثم تفرعت عنها الداروينية الاجتماعية لاحقًا.

وتهدف هذه المقالة إلى تبيان أوجه ومظاهر الفساد في الحضارة الرأسمالية من زاوية نتائج المفاهيم التي تأسست عليها وهي (الداروينية، والحق الطبيعي، والعلمانية)، وكذلك تبيان فسادها من زاوية ما نتج عن تطبيقات الأنظمة التي انبثقت عن هذه القاعدة الفكرية. ونقصد بالفساد إخراج

١ جدير بالتنويه أن مجلة الوعي في العددين رقم (٣٩٤ و ٣٩٥) نشرت موضوعًا بعنوان "فساد الحضارة الرأسمالية وقرب انهيارها" وذلك في شهري ذي القعدة وذي الحجة ١٤٤٠ هـ الموافق شهري تموز وآب ٢٠١٩م، وأجلى الموضوع فساد هذه الحضارة الرأسمالية، وأوضح بأن هذا الفساد قد بان لأهلها، وقامت محاولات لاستبدالها بحضارة غيرها وهي الحضارة الشيوعية، غير أن تلك الحضارة فشلت ثم انهارت. ولكننا في معرض تفصيلنا لذلك الموضوع في ذلك الحين، لم نقم بالتعرض لتفاصيل الفساد ومظاهره، لا في الفكرة الأساسية في الحضارة الرأسمالية ولا في الأنظمة المنبثقة عنها، حيث ذكر في حينه بأن أمر فساد الرأسمالية قضية واضحة عند الرأسماليين أنفسهم، وبرز ذلك بشكل جلي عند منظري المبدأ الاشتراكي.

الشيء عما أعد له. والمقصود بفساد النظرة الداروينية للحياة هو فساد الأساس والأصل الذي قامت عليه، وكذلك فساد النتائج التي تولدت عن الحضارة الرأسمالية والتي كانت وما زالت خطيرة على البشرية جمعاء من حيث إفسادها للعيش ثم الشقاء النفسي وإتعاس الإنسان بدل إسعاده.

لقد أنتجت النظرة الداروينية الرأسمالية للحياة الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وأنتجت الحروب والصراعات ثم العنصرية والقومية وغيرها من الشرور، حتى أشار بعض الرأسماليين الغربيين أنفسهم إلى قبح وإجرامية هذه النظرة وبالأخص ما انبثق عنها من داروينية اجتماعية، والتي توجت بالأفكار العنصرية الأوروبية كالنازية والفاشية.

ثم تسعى المقالة إلى تبيان النظرة الداروينية الفاسدة للحياة بأنها روح تسري في جميع الأفكار والأنظمة الرأسمالية، ويمكن بذلك إدراك سبب تبني بعض الدول لسياسة «مناعة القطيع» في مجال الطب التي تقع في ذات السياق، ثم ندرك لماذا فشلت هذه السياسة كنموذج وتراجعت عنها بريطانيا وأمريكا. والخلاصة النهائية أنه ما لم تجتث هذه الروح الرأسمالية الشريرة الفاسدة، فلن تتخلص البشرية من هذا الفساد خاصة وأن هذه الداروينية غير مقصورة على الداروينية الاجتماعية فقط، وانما تجاوزتها لتصبح نظرة عامة للحياة، وروحًا تسري في جسد الحضارة الرأسمالية كلها من رأسها حتى أخمص قدميها.

الداروينية الاجتماعية الوجه الأقبح والأفسد للرأسمالية

نشأت الداروينية الاجتماعية معتمدة على قانون الانتخاب الطبيعي الذي نادى به عالم الأحياء الإنجليزي تشارلز داروين في تفسيره لخرافة تطور الكائنات الحية وقدرتها على التكيف والبقاء في الصراع، وقد نظَّر الداروينيون الاجتماعيون وأهمهم هربرت سبينسر ووالتر باغهوت لفكرة تفوق نخب مصطفاة من الجنس البشري مقابل تخلف أصناف أخرى منه، بالاعتماد على نظرية داروين وقانون الانتخاب الطبيعي ذاته.

لقد أكمل سبينسر مسيرة أستاذه داروين وأستاذ أستاذه مالثوس، معتبرًا أن بعض المجموعات البشرية استطاعت التكيف والتطور اقتصاديًا وعلميًا، مقارنة بمجموعات أخرى بقيت متخلفة، فيكون استغلال أو استعباد المجموعات المتخلفة من قبل المجموعات المتطورة في نظره أمرًا عاديًا، بل هو قانون الطبيعة الذي لا تجوز معاندته.

وقد ظهر مصطلح «الداروينية الاجتماعية» لأول مرة عام ١٨٧٩م في مقالة لـ«أوسكار شميدت» ثم تم تداول المصطلح ودرج في العالم الناطق بالإنجليزية متأخرًا، فقام المؤرخ الأمريكي«ريتشارد هوفستاتر» بنشر مؤلفه «الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكي» خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤م. وذلك بالرغم من شيوع النظريات حول الارتقاء الاجتماعي والارتقاء الحضاري في أوروبا خلال عصر «التنوير» قبل داروين. وتتميّز الداروينية

الاجتماعية بأنها تستمد أفكار داروين من حقل علم الأحياء في التطور والصراع والبقاء للأصلح وتطبقها على الدراسات الاجتماعية والمجالات السياسية.[٢]

إن فساد النظرة الداروينية الاجتماعية للحياة وقبحها واضح وضوح الشمس حتى للرأسماليين أنفسهم، فهم يرونها نظرة عنصرية غير إنسانية، تقسم الناس على أساس العرق واللون والشكل الخارجي، وتؤجج الحروب والصراعات وتؤدي إلى الاستغلال والاستعمار وإلى الإبادات الجماعية للبشر، فكل الشرور تتجسد فيها؛ لذلك هم يحاولون التملص والتنصل منها ويدعون محاربتهم لها بلا هوادة!!

خطورة ما نتج عن النظرية الداروينية تاريخيًا

بسبب النتائج الخطيرة التي ترتبت على الداروينية السياسية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والتي توجت بقيام حرب عالمية ثانية صارع فيها الرأسماليون بعضهم بعضًا، حيث هزم الطرف المنتصر الدول التي حملت أفكار النظرية الداروينية الاجتماعية للحياة كالنازية الألمانية والفاشية الإيطالية والعنصرية اليمينية التي تفشت في كل أنحاء أوروبا، فلمس الغرب بيديه بل بدمه خطورة أفكار المدرسة الداروينية الاجتماعية والسياسية، وأخذ يعمل على محاربتها واستئصالها.

ولكن الغرب الرأسمالي بعدما رأى مكامن الخطر في هذه الفكرة الداروينية على الغرب نفسه، ادعى التخلي عنها ومحاربتها، بيد أنه لم يعالج هذا الفساد من جذوره بتحديد أصول هذه الفكرة وأسباب نشوئها ثم التخلص منها، بل اكتفى بترقيع نتائج هذه الفكرة التي ألحقت به أفظع الأضرار، وأبقى الجذور والأصول المولدة للداروينية كما هي. وهذا يدلنا على وجود خلل متأصل ما زال قائمًا في الحضارة الرأسمالية وفي طريقة تفكيرها، خصوصًا طريقة تفكيرها الفاسدة التي قُطعت عن السببية والغائية.

فعند النظر في الكثير من الأفكار والأنظمة التي انبثقت عن الحضارة الرأسمالية كالاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها، نجد أن روح النظرة الداروينية ما زالت تدفعها وتحركها. فالغرب ما زال يطبق النظام الاقتصادي الرأسمالي، وعند التمحيص الحقيقي نجد أن النظرية الاقتصادية الرأسمالية تقوم على نفس النظرة الداروينية للحياة، وهو لا يقل خطورة في نتائجه عن نتائج الداروينية السياسية.

هذا غيض من فيض مما نتج من مخاطر -عبر التاريخ- عن النظرة الدراوينية للحياة، ومما حدث من مساوئ وجرائم وإجحاف وفساد على الغرب نفسه وعلى العالم؛ ولكن أهل هذه الحضارة الرأسمالية لم يريدوا أن يواجهوا حقيقة فساد الأصول التي قامت عليها حضارتهم؛ لأنهم قد ساروا أشواطًا بعيدة في تطبيق هذه الحضارة وفي فرضها على العالم بالقوة وبالاستعمار وبالإعلام المزيف وبجيوش العملاء الفكريين والسياسيين التابعين لهم؛ ولذلك هم لا يريدون التراجع عن فسادهم بسبب تحكم طغمة رأسمالية فاسدة ومستفيدة

٢للمراجعة يمكن الاستزادة من عبدالله صالومة، دراسة حول نظرية التطور والداروينية الاجتماعية بعنوان"قانون التطور"، ٢٠١٠ .

من هذه الأوضاع وهي لا تريد تغييرًا، وعامة الرأسماليين لا يميلون إلى القيام بالتغيير من الداخل بفعل قوة الاستمرار أو القصور الذاتي المؤثر على بقاء واستمرار وجود وجهة النظر وأنظمة الحياة.

إذًا، حتى وإن نبذ الغرب فكرة الداروينية الاجتماعية بعد أن اكتوى بنارها في حربين عالميتين، إلا أن تأثيرها الباقي في صور مثل الليبرالية الفردية والرأسمالية التي تركز القوة بيد الشركات الأقوى، والهوية الوطنية التي تركز فكرة الانتماء لجماعات بشرية تنظر لنفسها بصورة مستعلية على غيرها وما شاكل، يجعل التخلص منها أمرًا صعبًا؛ ولذلك هم بحاجة إلى حضارة أخرى تشكل بديلًا صالحًا، لتقلع حضارتهم من جذورها وتطهر الأرض من فسادها، وحتى ذلك الحين ستستمر عملية الترقيع للثوب البالي لهذه الحضارة الرأسمالية، ثم محاولات القيام بعملية التأقلم مع الظروف التي تواجهها في العالم تحت اسم التطور، وربما تنحط أكثر وينخرها الفساد أكثر وتتعفن أكثر وأكثر.

الداروينية السياسية والقومية العنصرية:

نجم عن فكرة الداروينية الاجتماعية فكرة الدراوينية السياسية، والتي أدت إلى بروز مفهوم الدولة القومية والأفكار العنصرية في أوروبا، فالشعور القومي يقوم في أساسه على فكرة تفوق (مجموعة عرقية أو دينية) على الجماعات الأخرى والأديان الأخرى والتي تحمل بذور العنصرية. وقد أدى صعود هذه الفكرة القومية إلى حدوث العديد من الحروب بين الدول الأوروبية ذاتها خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين والأحزاب القومية المتنامية حتى يومنا هذا.

وبالتحليل النقدي العميق والجذري لمنطلقات الحركات القومية كالنازية أو الصهيونية، يظهر أن «سوسة» الداروينية الاجتماعية قد نخرت فيها بشكل ظاهر وصريح، إما في أفكارها أو في ممارساتها، فهتلر زعيم النازيّة قام بإحراق أصحاب الإعاقات الدائمة والمرضى والضعفاء وكذلك الأجناس غير الأوروبية لأنهم لم يستطيعوا التطور والتكيف مع البيئة؛ وتم اعتبارهم كملوثات للمجتمع الألماني المتفوق. وكذلك نشاهد هذا الأمر في فكر الحركة الصهيونية التي قامت على فكرة أن يهود هم شعب الله المختار، وأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم من الأمم؛ لأن الله خلق الأمم الأخرى «كالحمير لخدمتهم».

ولا يزال الغرب يتبنى فكرة القومية التي أنتجتها النظرة الداروينية، وما زال يقوم بالدعوة لها بالرغم من أزمتها وأزمة الدولة القومية. فقد فشل الغرب في حل المسألة القومية، وخاض الأوروبيون معارك وحروباً دامية لفرض الحدود بين القوميات. فالفكرة القومية والنزعة الوطنية قسمت أوروبا دولًا صغيرة وأوطانًا مجزأة. فهذه الروابط الوطنية والقومية هي من تجليات العنصرية وشعور بعض الأعراق البشرية بتفوقها على الأخرى.

كما ظهر من تصرفات الدول الأوروبية وأمريكا أثناء تفشي وباء كورونا، أن كل دولة تسعى وتتصارع مع الدول الأخرى للحصول

على الأطباء والمعدات الطبية كالكمامات وأجهزة التنفس دون محاولة التعاون المشترك مع بعضها لمواجهة الوباء، وهذا ناجم عن الأنانية المستحكمة والسعي وراء المصلحة الخاصة لكل دولة، والذي هو نتيجة تحكم فكرة صراع البقاء الداروينية فيهم.

مركزية وتفوق أوروبا وعلاقته بالاستعمار:

نظرًا لشعور الرجل الأوروبي عمومًا -وخصوصًا الساسة والمفكرين منهم- بالتفوق والتعالي على الشعوب الأخرى، حيث إن الرأسماليين الغربيين بدأوا يرون أنفسهم كمخلوقات أكثر تطورًا وتقدمًا. فمثلًا المفكر الألماني الموسوعي ماكس فيبر في كتابه الأشهر والموسوم بعنوان «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية» والذي اعتبر أن الرأسمالية كانت مستحيلة في مجتمعات ليست مسيحية بروتستانتية.

وقد انبثق عن ذلك مفهوم تقسيم العالم إلى عالم غربي متحضّر وشعوب أخرى متخلفة، وبرر لهم هذا المفهوم أحقية استعمار شعوب العالم غير الأوروبية بحجة أنها تنتمي للأجناس البشرية الدنيا التي لا بد أن يتم تطويرها حتى تستطيع حكم ذاتها، وأن الحضارة الغربية يجب أن تنتدب عليها بحجة ترقيتها وتطويرها وتحضيرها. وليس هذا وحسب بل في مرحلة مستقبلية سوف تقوم الأعراق البشرية المتحضرة على الأغلب بالقضاء على الأعراق الهمجية في شتى أنحاء العالم.

الجذور العميقة للداروينية في الفكر الرأسمالي:

عند النظر في مؤلفات أكبر المفكرين الذين أسسوا للأفكار والأنظمة الرأسمالية، نجد أنهم يشتركون في الأصول والمنطلقات التي أسست وشكلت وجهة نظرهم عن الحياة، ونلاحظ أن أركان هذه النظرة للحياة قد اكتملت عند عالم الأحياء الإنجليزي «تشارلز داروين» ولذلك لا بأس من إلقاء بعض الضوء على نظرية داروين، من أجل فهم حقيقة النظرة الداروينية للحياة.

تحاول نظرية داروين تفسير نشوء وتنوع الأشكال المختلفة من الكائنات الحية بأنها ترجع إلى قانون التطور التلقائي العشوائي، والذي ينتخب أفضل الأفراد ليورثوا صفاتهم للأجيال القادمة من خلال آلية طبيعية تسمى صراع البقاء والبقاء للأصلح. فنظرية داروين تنطلق من فكرة الصراع بين الكائنات الحية، سواء بين أفراد النوع الواحد أم بين الأنواع المختلفة من الكائنات.

وتدعي نظرية داروين أن سبب أو سر الصراع هو تزايد أعداد الكائنات الحية ومحدودية كميات الغذاء التي توفرها الطبيعة. فالأنواع الحية تتكاثر وفق قانون متواليات هندسية في حين أن تكاثر الغذاء يجري وفق قانون متواليات عددية، أي أن عدد الأفراد يزيد بشكل تصاعدي أكبر من تزايد كميات الغذاء المتوفرة. فالمشكلة إذن هي محدودية الموارد الطبيعية والصراع بين الأنواع الحية الكثيرة عليها، وهو صراع من أجل البقاء في ظروف صعبة، والذي يفوز في هذا الصراع هو الأصلح، فبالتالي يكون البقاء للأصلح، والأصلح هو الذي

يمتلك القوة لحيازة الثروة ويستطيع الدفاع عنها، وهو الذي يستحق ويُنتَخب من قبل الطبيعة ليورِّث صفاته إلى الأجيال القادمة، وهذا القانون هو الذي يؤدي إلى تطور الكائنات الحية، دون الحاجة لتدخل فاعل من قوة خارجية (خالق)، بل كل ما يجري يحدث بفعل قوانين طبيعية داخلية.

وقد اعتمدت الأفكار والنظريات اللاحقة التي نشأت في أوروبا على نظرية داروين، بوصف هذه النظرية علمًا طبيعيًا له موثوقية وشرعية علمية لنظرياتها ولأفكارها التي بنيت على هذه النظرية، كالداروينية الاجتماعية والاستعمار والنظريات العنصرية كالنازية والفاشية والقوميات المتطرفة... إلخ. وكذلك تم صبغ نوع من الشرعية العلمية للأفكار التي سبقت نظرية داروين كنظرية مالثوس في السكان، ونظرية الاقتصاد السياسي لآدم سميث وغيرها.

وفي هذه المقالة سنقوم بإطلاق اسم محدد على الأسس التي قامت عليها المدرسة العلمانية الرأسمالية، وما تبعها من نظريات في الاقتصاد والسياسة والاجتماع وعلى كل الأنظمة التي انبثقت عنها، وهو النظرة الداروينية للحياة. ولسنا نعني بها أن داروين هو الذي أنشأها أو أسسها، بل هي نظرة متجذرة ومتأصلة في المبدأ الرأسمالي منذ بذرته الأولى في القرن السادس عشر الميلادي، استقاها داروين من أسلافه ولكنه أكمل بنظريته أركانها ثم نشرها ودعا إليها تحت غطاء العلم الطبيعي، فأصبحت هذه النظرة الداروينية للحياة هي النظرة الرأسمالية للحياة.

وبعد أن تبنى الغربيون نظرية داروين وتشربت قلوبهم روحها، أضحت النظرية الداروينية الاجتماعية أمرًا عاديًا ومقبولًا في العلوم الاجتماعية؛ لأنها أصبحت ذات شرعية باستنادها إلى نظرية علمية (داروين) وإلى قوانين الطبيعة، وانبثق عن هذه النظرة الداروينية الكثير من الأفكار العنصرية كالنازية والفاشية، وتأثرت بها الفلسفات الاشتراكية و**الوجودية وفلسفة نيتشه وكذلك نظريات فرويد في علم النفس** وبعض الاتجاهات الأدبية، وكذلك خدمت هذه النظرة الاقتصاد الرأسمالي وجعلته مدعمًا بالعلوم الطبيعية وقوانينها، تلك العلوم التي يقدسها الرأسماليون باعتبارها المرجعية الطبيعية للحق.

داروين ومفكرو الرأسمالية:

يلاحظ أن نظرية التطور التي تفسر تطور الحياة دون توجيهٍ مصممٍ حكيم (خالق) تشبه إلى حدٍّ كبير الطريقة التي يتطور بها اقتصاد السوق الحر، بحيث يبذل كل فرد أو شركة جهدهم لتحقيق الازدهار، دون الحاجة إلى مُخطِّطٍ مركزي (تدخل الدولة).

لقد كان تأثير الاقتصاديين السياسيين على داروين واضحًا تمامًا، فقد أمضى تشارلز داروين العديد من السنوات متجولًا فكريًا بين أفكار دافيد هيوم، وآدم سميث، وروبرت فيرغسون، وهتشينسون. وعندما كان في كامبريدج سنة ١٨٢٩م كتب في رسالة: «**تتكون دراساتي حول آدم سميث وجون لوك**».

وقد كتب تشارلز داروين في سيرته

الذاتية: في سنة ١٨٣٨ بعد أن بدأت بحثي النظامي، قرأت كتاب مالثوس عن السكان، وكنت مهيأ لتقدير قيمة الصراع من أجل البقاء... من خلال ملاحظاتي المستمرة الطويلة لعادات الحيوانات والنباتات. لقد أذهلني أنه في ظل هذه الظروف فإن التغييرات الملائمة (المناسبة) ستسبب حفظ النوع، والتغييرات غير الملائمة ستؤدي إلى التدمير. ونتيجة هذه العملية هو ظهور أجناس جديدة. وهنا أمسكت بنواصي **نظرية البقاء للأصلح.**

ويقول مات ريدلي حول هذا الموضوع: «تتطور الأفكار بالنسب مع التغيير، مثلما تفعل الأجسام، وقد حصل داروين على الأقل على هذه الفكرة من الاقتصاديين، الذين حصلوا عليها من فلاسفة تجريبيين. من لوك ونيوتن إلى هيوم وفولتير إلى هتشينسون وآدم سميث إلى مالتوس وريكاردو إلى داروين ووالاس. قبل داروين كان المثال الأسمى لنظام غير مصممٍ هو اقتصاد آدم سميث الذي رأى أن تطور الاقتصاد يكون بشكلٍ تلقائيّ وعفويّ من خلال تصرفات الأفراد، بدلًا من أن يتحكم فيها ملك أو برلمان...فمثلما قام داروين بإزالة تحكم الله (الخالق) -في الأحياء-، قام سميث بإزالة تحكم الحكومة في الاقتصاد»

جذور النظرة الداروينية للحياة:

من الواضح تمامًا بأن النظرة الداروينية للحياة هي عينها النظرة الرأسمالية للحياة، وأن هذه هي النظرة المؤسسة التي قام عليها الفكر الرأسمالي، وهي فكرة وجدت جذورها عند فلاسفة الرأسمالية قبل نظرية داروين. فداروين نفسه لم يؤسس هذه النظرة للحياة، وإنما استخدم الأسس النظرية للرأسمالية كصراع البقاء والحق الطبيعي والندرة النسبية والتطور الطبيعي، وطبقها عمليًا على فكرة نشوء وتطور الكائنات الحية، ثم أنتج منها نظريته.

وبالتدقيق في نظرة داروين هذه للحياة، نجدها نظرة متأصلة عميقًا في الأفكار المؤسسة للرأسمالية عن الوجود والحياة قبل كتابة نظرية داروين سنة (١٨٦٠م)، فقد سبقه قس يدعى توماس مالثوس (١٧٨٩م) حيث وجدت بذور هذه الأفكار عنده، وسبقهما آدم سميث (١٧٧٦م)، الذي يعتبر المؤسس لقواعد الاقتصاد الرأسمالي التقليدي في كتابه ثروة الأمم. وهي نظرة موجودة قبلهم عند جان جاك روسو (١٧٧٠م) في نظرية العقد الاجتماعي، والتي تبلورت على يد جون لوك (١٦٨٠م)، ووجدت جذورها الأساسية في فكر توماس هوبس (١٦٥١م) في بريطانيا.

وأيضًا تأثر داروين بمدرسة التطور الطبيعي الفرنسية، التي أنشأها الفرنسي جورج دي بوفون في عام (١٧٨٠م)، وأيّد فيه فكرة تطور الكائنات الحية. وكان جون لامارك من العلماء الطبيعيين المتأثرين بدي بوفون، التي سُميت نظرية التطور (اللاماركية) باسمه، وله كتاب (التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقارية) صدر في عام (١٨٢٠م).

نظرية الصراع والتطور: ماركس مفكر أوروبي، وهو ابن بيئته:

لقد ظهرت نظرية الصراع والتطور الطبيعي مرة أخرى -بالتزامن مع داروين- لدى مفكر

الاشتراكية الأكبر كارل ماركس ومعلمه هيغل في القرن التاسع عشر وبالتزامن مع داروين. فكما طبق داروين نظرته الداروينية للحياة في مجال علم الأحياء (١٨٦٠م)، قام ماركس بتطبيق ذات النظرة وذات الأفكار التي سادت عصره على الإنسان والتاريخ، وبنى عليها نظريته في حركة التاريخ والصراع الطبقي وتطور المجتمعات، والتي سميت بالمادية التاريخية (١٨٤٨م).

وعليه لا بد من الانتباه إلى مسار تطور حركة الفكر الرأسمالي في أوروبا، لنلفت النظر إلى أن المادية التاريخية لماركس، هي جزء من هذا المسار تاريخيًا لا خروجًا ناشزًا عنه. فماركس أتى بطروحاته الفكرية في سياق أوروبي وكانت أفكاره جزءًا منها، وهذه إشارة نرسل بها إلى من يحمل لواء هذه الأفكار ويدعو لها، ويعتبرها علمًا يفسر حركة التاريخ، لحقيقة وجذور الأفكار الشيوعية كإحدى إفرازات تطور الفكر الرأسمالي الأوروبي المبني على النظرة الداروينية الفاسدة للحياة، فأفسدت كل ما بني عليها.

سقوط نظرية التطور الدراوينية

لا يُستغرب أن يستميت الرأسماليون -وإخوانهم الاشتراكيون- في الدفاع عن النظرة الداروينية للحياة وعن أساسها العلمي أي نظرية داروين، فيلاحظ وجود استماتة في محاولات ترقيع نظرية داروين -تحت اسم التطوير والتحديث- ومحاولات لأقلمتها مع التطورات العلمية الحديثة في علوم الأحياء، خصوصًا بعد أن ظهر فساد نظرية داروين التقليدية وسقوطها علميًا، حين تم اكتشاف سر الوراثة في علم الأحياء، فبان للعلماء أن صفات الكائنات الحية لا تخضع بتاتًا لدعاوى داروين حول صراع البقاء والبقاء للأصلح والانتخاب الطبيعي، واتضح أن هناك قوانين داخلية أصيلة في جوهر الكائنات تحكم الصفات الوراثية للكائنات الحية وهي الكروموسومات، وأنها هي المسؤولة عن تشكل الأعضاء في الأجسام وعن جميع صفات الكائنات الحية، ولا علاقة للظروف الخارجية بهذه الصفات بتاتًا كما ادعى داروين.

إذًا، اتضح لعلماء الغرب والشرق بأن هذه النظرية قد أسقطها علم الحياة نفسه والذي تطور في أوروبا نفسها، وبما أن الأسس الفكرية التي قامت عليها هذه النظرية فاسدة وساقطة علميًا، فيكون جميع ما بني عليها من نظريات وأفكار هي أيضا فاسدة -من وجهة نظرهم العلمية- خصوصًا وأن الرأسماليين يعتبرون أن قوانين الطبيعة هي المرجعية الوحيدة، وأن ما خالف تلك القوانين غير صالح بل هو فاسد، وبالتالي وجب عليهم أن يهدموا جميع العلوم الاجتماعية التي قامت على هذه الداروينية، وكذلك وجب عليهم أن يهدموا الاقتصاد الرأسمالي الذي أقام بنيانه على نفس منطلقات وأسس الداروينية. فهل فعلوا ذلك؟

كلا لم يفعلوا! بل أصروا على التمسك بحضارتهم وبكل أفكارهم ونظرياتهم وأنظمتهم الفاسدة، بعد أن بان لهم فسادها وزيفها، وجل ما قاموا به هو محاولات لترقيعها تحت اسم التطور والتحديث، فياللعجب!!!. ■ [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الهوية الحضارية للأمة الإسلامية، ضمانة الرقي والنهوض والخيرية! (١)

ثائر سلامة، أبو مالك

يقول أحد كبار رموز التخطيط الاستراتيجيّ للولايات المتّحدة الأمريكية، المستشرق المعاصر»برنارد لويس»: «لقد كانت عادتنا الّتي تعوّدناها في العالم الغربيّ هي أنه كلّما اتّجه الشرقيّون إلينا ازداد تمسُّكنا بالغرب لنجعل أنفسنا مثالًا للفضيلة والتقدُّم. فإذا تشبّهوا بنا عددنا ذلك أمرًا حسنًا، وإذا لم يكونوا كذلك عددنا ذلك سوءًا وشرًّا؛ فالتقدّم هو في التشبّه بنا، أمّا إذا لم يقتدوا بنا فذلك هو التقهقر والاضمحلال!! إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك بالضرورة، فعندما تصطدم حضارتان تسيطر إحداهما وتتحطّم الأخرى، قد ينبري المثاليّون والمفكّرون فيتحدّثون بطلاقة وسهولة عن تزاوجٍ بين أحسن العناصر من الحضارتين، إلاّ أنّ النتيجة العاديّة في هذا التلاقي هي تعايشٌ بين أسوأ العناصر من الاثنين»[١].

وقال يوجين روستو[٢] Eugene Rostow: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب؛ بل خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها»[٣].

تتشكل الهوية الحضارية المميزة لأمة من الأمم، بامتلاكها رؤية معينة عن الحياة، تقوم على مجموعة من القيم الاجتماعيّة والمعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والتقاليد والفلسفة، أي على عقيدة انبثق عنها تشريع يصوغ الحياة، يتمثل في طريقة للعيش، وينعكس على صورة قيم يرتضيها المجتمع، ومقاييس وقناعات تحكم بها الدولة، يُوثَّقُ في إطارٍ قانونيٍّ يَتَمَثَّلُ بدستورٍ وتشريعاتٍ تصون تلك القناعات والمقاييس والقيم وتحميها وتطبقها، حتى تتحول إلى تقاليدَ وعُرَفٍ مجتمعيةٍ راسخةٍ، مما يعطي تلك الأمة شخصيةً معينةً، وتجانسًا فكريًا سُلوكيًا قِيَمِيًّا يكفُل للإنسانِ السعادةَ والطمأنينةَ؛ وحيث إن سلوك الإنسان الذي سنحكم من خلاله بأنه إنسان راقٍ ناهضٌ، أو على النقيض: منحطٌّ،

١ برنارد لويس – الغرب والشرق الأوسط – تعريب نبيل صبحي – بيروت – د.ت – ص٦٠ نقلًا عن نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص.

٢ رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية لشؤون الأمن القومي، ومستشار للرئيس الأمريكي السابق ليندون جينسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧.

٣ جلال العالم، قادة الغرب يقولون: أبيدوا الإسلام، دمروا أهله، القاهرة، المختار الإسلامي للطباعة ط ٢، ص ٢٤-٢٥، وظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) في الغرب، أسبابها، مظاهرها، ونتائجها، إياد صلاح شاكر. دار الكتب العلمية، ص٥٠.

وكذلك الحكمُ على علاقاتهِ الـمُجْتمَعِيَّةِ، أي على النظام الذي سيصوغ حياته فردًا وكائنًا مجتمعيًا، مرتهنٌ بسلامة ذلك التصور الشامل للوجود، ومبنيٌّ عليه، أو منبثقٌ عنه انبثاقًا ينتج منهجَ سلوكٍ، ونظام حياة تَمَثَّلَ في طريقةٍ في العيش، وتجلَّى قيادةً فِكريةً يخوضُ غَمَراتِ الحياةِ مُقْدِمًا أو مُحْجِمًا، وَفقًا لما تُقررهُ لهُ من صواب وخطأ، من خير وشر، أو حق وباطل، فلنا أن ندرك خطورة وأهمية امتلاك التصور العقدي الصحيح، والنظام المنبثق عنه على حياة الإنسان والمجتمع والدولة! وأما من ارتضى أن يعيش الحياة سبهللة من غير ما مقاييس ولا مفاهيم ولا قناعات، أو بمقاييس وقناعات مختلطة، يكون خيرها خيرًا يومًا، وشرًا يومًا آخر، فليس يعنينا، ولا نرتضي أن نجعله مثالًا ننهض وفقًا له!

خصائص ومقومات الحضارة الإسلامية معجزة! فكيف استبدل بها المسلمون غيرها؟!

ولئن أنعمنا النظر في مقومات الحضارة الإسلامية وخصائصها التي ميزتها على غيرها من الحضارات، فإننا سنجد أنها تميزت بِرِقيِّ تَصَوُّرِها عن الكون والإنسان والحياة، ثم في تَمَثُّلِ هذا التصورِ في إطار منهجٍ عقديٍّ شاملٍ راقٍ كُلِّيٍّ غَائيٍّ يفسرُ الكونَ والحياةَ، ويحدد علاقات الإنسان بالحقائق الكونية الكبرى[٤]، وعلاقاتها هي بالإنسان، على وجه صحيح، ويوضح له غايته من الوجود، ويبينُ للإنسان موقعه ومسؤولياته ودوره في الحياة، رابطًا ذلك بما قبل الحياة الدنيا، وما بعدها.

ولقد صبَّ الإسلام ذلك المنهج العقدي الشامل في قالب «ذاتيٍّ مستقلٍّ، وفق طبيعته الكلية، التي تخاطب الكينونة البشرية جملةً، بكل مقوماتها وطاقاتها، ولا تخاطب «الفكر البشري» وحده خطابًا باردًا مصبوبًا في قالب المنطق الذهني»[٥]، فكان عقيدةً نابضةً بالحياةِ، لا فلسفة جافَّةً باردةً، كان مفاهيم حيوية تحرك النفوس، وتبعث في أرجائها السكينة والطمأنينة والتأثر والتأثير، والانطلاق لحمل رسالته، والثقة المطلقة بالوصول للحقيقة المطلقة!

وزاوج الإسلام في الأهمية بين ذلك التصور العقدي، وبين النظام المتمثل في طريقة العيش، فسنَّ الإسلامُ للإنسان مسؤولياتٍ وواجباتٍ وعلاقاتٍ مجتمعية، وفلسفةً متكاملةَ الأسسِ والمقوماتِ، منبثقةً من ذلك التصوُّرِ الاعتقاديِّ وتستندُ إليهِ، تتعلقُ بنفسهِ وأسْرَتِهِ ومجتمعه ودولته بل وبالبشرية جمعاء، تحقق العدل والإنصاف وتوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحق العام، ومتميزةً «**بالدقة** المتناهية في بناء الأحكام حتى لكأن الدارس الباحث في مسائل الفقه الإسلامي وآراء الفقهاء ونظرياتهم يشعر كأنما هو أمام ميزان حساس يوزن به الألماس، وتظهر به الفروق بين المتشابهات مهما دقت وغمضت»[٦]،

ولقد وسِعَ التشريعُ الإسلاميُّ واستوعبَ مشاكلَ الإنسانِ؛ فقد عالج الإسلامُ المشاكلَ

٤ الله، والربوبية، والألوهية، والملك والسلطان، والحاكمية، وصلة الخلق والتنظيم والتدبير.

٥ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الشهيد سيد قطب رحمه الله، كَلِمَة في المنْهج.

٦ الدكتور مصطفى الزرقا، خصائص التشريع الإسلامي

علاجًا جذريًا متعلقًا بجنس الإنسان، لا علاجًا متعلقًا بزيد أو عبيد، وراعى في العلاج زاوية تعلق العلاج بالأفعال، وأنزل الأحكام على الوقائع، وتميَّز التشريع الإسلامي «بالغنى بالنظريات القانونية في تنظيم الحقوق والالتزامات ومصالح المجتمع بصورة شملت كل شُعَبِ القانون المعروفة إلى اليوم، مبتدئة من علاقة الإنسان بأسرته من أحكام الزواج إلى الميراث وما بينهما، وتنتهي بأحكام القانون الدولي المنظم لعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم والدول سلمًا وحربًا. كل ذلك نظَّمه النظام القانوني في الشريعة الإسلامية بأعدل القواعد، وأحكم الأحكام، وأسمى المبادئ وأخلدِها وأكثرِها رعايةً للمُثُلِ الإنسانيةِ العليا، وتطعيمًا للعنصر القانوني بالعنصر الخلقي.»[٧]

كما وتميَّز التشريع الإسلامي **بنصب مجموعة من القيم الرفيعة، ومكارم الأخلاق**[٨]**، والمقاصد التشريعية**، وراعت ذلك في حال التشريع والتطبيق مما يفضي للدمج بين القوانين والتشريعات وبين غاياتها، فيلمس أثرها في المجتمع **نظامًا متجانسًا متكاملًا فعَّالًا**، يأخذ بعضه بركاب بعض، ويجد المرء والمجتمع وازعًا من التقوى والقيم والأخلاق حين التطبيق، فيفضي للسعادة والاستقرار، وهذا كله مما لم يدرك الشارعون البشر شيئًا منه ولا خطر لهم ببال!

وحرص الإسلام كل الحرص أن يتمثل هذا النظام وهذا التصور العقدي على صورة عُرفٍ مجتمعية، وأضحى الخروج على القيم والأخلاق والمقاييس والمفاهيم والقناعات التي وضعها

٧ الدكتور مصطفى الزرقا، خصائص التشريع الإسلامي، نشر في العدد الرابع عشر من مجلة الوعي الإسلامي السنة الثانية صفر ١٣٨٦هـ ٢١مايو ١٩٦٦

٨ فالتاجر مثلًا اختار التجارة وانتهى عن الربا وفقًا لمنظومة وإطار (الحلال والحرام)، ملتزمًا بما يسمح به الوحي وما يمنع، يمتنع عن بيع الخمر وإن كانت فيه مرابح مادية دنيوية لأنه ملتزم بإطار الحلال والحرام لا بإطار المادة وجني الأرباح. ويجب عليه أن يتحرى الصدق وممنوع عليه الغش وفقًا لمنظومة وإطار (الأخلاق). وممنوع من الاحتكار الذي يظهر فيه استغلال حاجة الناس لجني الأرباح (وفقًا لمنظومة الاقتصاد الذي يعنى بعلاج مشاكل المجتمع وضمان كيفية توزيع الثروة ووصول الناس لقضاء حاجاتهم). كما أنه أمره بالتقوى في كل حال ومع كل فعل (مراقبة الله) وهذا إطار عام يلزم في كل فعل يضمن تحقيق غايات كثيرة تتعلق بالحرص على التزام النظام الإسلامي بشكل عام في كل شأن. وأمره بالإحسان. (وهو إطار عام يتكفل بإتقان وإحسان كل عمل يعمله). واعتبر سعيه في الرزق طلبًا للحلال نوعًا من العبادة يؤجر عليه، إذ لو داخله الحرام أثم، فلا يأكل إلا حلالًا، (وهذا إطار جمع الاعتقاد بالعبادة، فهو إطار عقدي ناظم لتصوره لطبيعة نتيجة عمله المادية إذ تربطه بالاعتقاد ولا يكتفي بالسعي لجني الأرباح بأي طريقة كانت).وأمره بالأخذ بالأسباب، (وهو إطار عام مطلوب في كل عمل ليحقق غايات دينية ودنيوية، فيختار سلعًا معينة للتجارة بها تدر عليه الربح أو يحتاجها المجتمع وهكذا، فهو إطار دافع لحسن اختيار أفضل الأعمال المحققة لغايات الإنسان، فلم يغفل الإسلام مصلحة هذا التاجر ومنفعته)، والتوكل على الله، (وهو إطار عقدي جامع مانع، يتجاوز معضلة إخفاق بعض الأسباب في تحقيق المراد، فيربط عمله بالاتكال على الله ليدبر له من شأنه ما لا يستطيعه بأسبابه التي قدرها بمعطياته الإنسانية البشرية القاصرة). وربط عمله بمفهوم الرزق أنه على الله، فلا يخاف إلا الله، وهو إطار ضامن بأن لا يعتبر التزامه بأفعال أخرى مؤثرًا على عمله كتاجر، كأن يقول بالحق أينما كان، ولا يخشى إلا الله، وأمره بتطهير ماله بالزكاة، والصدقة، (وهو إطار يصب في تحقيق غايات مجتمعية يتكامل فيها النظام الاقتصادي بالاجتماعي ليحقق التكافل الاجتماعي ويكفي حاجات من لا يستطيع قضاء بعض الحاجات، وهذا الإطار يتضمن أيضًا أن يقوم بهذه الصدقات والزكاة لا من باب الإحسان للفقير فقط، ولكن من باب مسؤولياته المجتمعية التي أناطها الإسلام به، ومن باب الولاية العامة بين المؤمنين بعضهم بعضًا، فهي أطر كثيرة تحقق غايات عظيمة خطيرة)، ووضع على السوق محتسبين، وأمر التجار بالفقه في الدين لمعرفة الحلال من الحرام في معاملاتهم، وهكذا تجد المزاوجة بين الأفعال وبين الأخلاق والقيم التي يراد لها أن تسود! والثواب والعقاب، والتخويف من عقوبة الدنيا والآخرة، والمفاهيم العقدية، وتكامل الأنظمة المختلفة لتحقيق غايات مجتمعية وأخروية، كل ذلك يجتمع في عمل واحد! فلم يعد التاجر يمارس التجارة فقط، بل تتجسد فيه مجموعة القيم والأخلاق والمقاييس والمقاصد والمفاهيم العقدية وأنظمة الإسلام المختلفة في آن واحد وهو يمارس التجارة!.

وهذا بالضبط هو ما ضمن فعالية تطبيق نظام الإسلام وسرعة الاستجابة لتشريعاته، فما هي القوانين الناظمة لعمل التاجر في الحضارة الغربية العلمانية؟ ضرائب! ممنوع غسيل الأموال (كي تعرف الدولة ما لها من ضرائب!)، التنافس الشريف، promotion of competition and fair trading، وهو ما قضت عليه الشركات الكبرى باحتكار السوق بسبب قوتها وهيمنتها والتجاء التجار الصغار إليها وإلا لم تنجح تجارتهم، فهذا التنافس الشريف مجرد شعار غير متحقق في الواقع، حماية المستهلك، وهو ما قضت عليه الشركات الكبرى بالتجسس على هذا المستهلك لتتبع رغباته واحتياجاته للتجار الآخرين عبر منصاتها، فتجني الأرباح! وممنوع أن يبيع الدخان والخمر والقنب الهندي للقاصر، ويسمح له ببيعها على ما فيها من ضرر للبالغ! لأن المهم هو كسب المال وتنميته! هل من شيء آخر؟ راجع إن شئت ما يسمى: Trade Legislation Acts and Regulations في أي بلد رأسمالي، وهذه القوانين بالطبع ليست منبثقة من المبدأ العلماني، وإنما شأنها شأن أي قوانين في الدول العلمانية تسنها الهيئات التشريعية بما تمليه عليهم مصالح الدول وتسيير شؤونها.

الشارع جريمة يعالجها الشارع على مستويات عدة تتناسب مع حجمها، فمن مسؤوليات مجتمعية تتمثل في النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحاسبة والتغيير إلى الأطر على الحق أطرًا، ومنع مجالسة فاعل المنكر، إلى رفع السيف واستعمال القوة لتغيير المنكر، إلى مسؤوليات الدولة من العقوبات، إلى غير ذلك من الأطر التي تحافظ على سواد مجموعة القيم والمقاييس والقناعات المنبثقة عن العقيدة والتي تشكل الإطار الناظم للشريعة وأحكامها، والتي توجد نمطًا خاصًا من العيش، ونظامًا يصلح به الإنسان ويسعد به، ومنظومة من العُرَفِ التي يعتبر نقيضها منكرًا محارَبًا منبوذًا!

يقول القاضي د. وفيق زين العابدين: «التشريع الإسلامي يحمي القيم الأخلاقية والإنسانية بنصوص أكثر فعالية من التشريعات الوضعية: فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الأخلاق، وهذه إحدى سمات التشريع الإسلامي فحسب؛ إذ توجَّه العقوبات في الشريعة الإسلامية قِبل كل ما يمس الأخلاق الفاضلة دون أن يتوقف ذلك على رضا المجني عليه أو تخلُّفِ ضررٍ ما عن الجريمة؛ لأن غرض حماية الأخلاق يعلو على غرض حماية المجني عليه في حد ذاته، باعتبار أن الغرض الأول يتعلق بالمصالح المشتركة والنظام العام للمجتمع، والتراضي بين الجاني والمجني عليه لا يجعل الفاسد صالحًا ولا يُحل ما حرم الله؛ لذا فالشريعة تعاقب على شرب الخمر والردة والفُحش والزنا والفجور والشذوذ بغض النظر عن رضا طرفي الجريمة، ولا سلطان للحاكم في العفو عن هذه الجرائم؛ لأن التساهل في شأنها يؤدي إلى تحلل الأخلاق، وفساد المجتمع واختلال أمنه ونظامه.»[٩]

وقد كان الملمح الأهم للتشريع الإسلامي متمثلًا في انبثاق النظام عن المعتقد «انبثاقًا ذاتيًا، غير مفتعل»[١٠] فكان عميق الجذور، منسجمًا مع العقيدة التي قام عليها، خاليًا من التناقضات والاختلافات والنقص والخلل والعبثية، تتكامل نظمه السياسية، بشكلها المحدد، وخصائصها الرعوية، الضامنة لتحقيق العدل والأمن وإحقاق الحقوق، وفض الخصومات، والرعاية الصحية والتعليم، ونشر الدعوة والحفاظ على المبادئ التي قامت عليها الدولة، مع فلسفته الاقتصادية الاجتماعية، بكل أسسها ومقوماتها الهادفة لبناء المجتمع وفق نظام ضامن لكفالة الحاجات الأساسية «تتوازن فيه حقوق المرأة وحقوق الرجل، وحقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات، فلا يسحق الفرد باسم الجماعة ولا تهدر مصالح الجماعة لمصلحة فرد أو حزب أو فئة، يقوم على التكامل بين الأفراد الذكر والأنثى كل له رسالة محددة يكمل بعضهم بعضًا. والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، تقوم على أن يحب الفرد المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، فهم كالبنيان وكالجسد الواحد يكمل بعضهم بعضًا. الغني مع الفقير تقوم حياتهم على التكامل والتكافل لا على

٩ محاسن السياسة الجنائية الإسلامية، د. محمد وفيق زين العابدين، مجلة البيان العدد ٢٨٨.

١٠ أنظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الشهيد سيد قطب رحمه الله، كَلِمَة في المنْهج.

الحسد والتباغض والصراع الطبقي المقيت الذي يظهر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وأيضًا التكامل في المهمات المتعددة والمناشط والمواهب الإنسانية التي يكمل بعضها بعضًا، فلا يمكن للفرد أن يصنع لنفسه كل حاجاته ولكن الجماعة في الإسلام يتحقق في رحابها جميع معاني التكامل في الحياة والتكافل الذي يحقق مصالح الدنيا والآخرة»[١١] وتوزيع الثروات والاستفادة من المرافق والخدمات.

ويشكل هذا التكامل ضمانة لفعالية تلك الأنظمة، وبصورة تتواءم حلوله مع فطرة الإنسان، ومع عناصر كينونته الإنسانية، فتتعامل مع مقوماتها، وطاقاتها، ملبية حاجاتها الأساسية الحقيقية المنبثقة عن طاقة الإنسان الحيوية -ممثلة بغرائزه وحاجاته العضوية- تلبية متزنة غائية، راقية بالإنسان عن درجة البهيمية في إشباع تلك الغرائز والحاجات، غير متصادمة مع أشواقه الروحية، ومتناغمة -في الوقت ذاته- مع واقعه الإنساني المادي المجتمعي، غير قائمة على الأهواء والمصالح الآنية الضيقة، كما هو الحال في سائر التشريعات والنظم البشرية السائدة في العالم اليوم!

ولقد راعت تلك التشريعات الربانيةُ إنسانية الإنسان وعقله، وراعت أنه يعيش في عالم مادي، يعج بالمشاكل والنوازل، فكانت سمة التشريع المعجزة قدرته على النفاذ إلى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها، وما يتأثر بها، والنظر إليها نظرة محيطة ستوعبة، مبنية على معرفة النفس الإنسانية، وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها، ثم وضع التشريعات الضامنة لإيجاد المجتمع الصالح والإنسان المصلح، وتحقيق المصالح للإنسان على وجه صحيح، يحقق الخير ويمحق الشر! يبسط العدل ويمحو الظلم!

ثم كانت معجزة التشريع الأخرى متجسدة في ربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية، بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها، ولا يكون معولًا لهدمها، كما وتميزت الشريعة بما لا يوجد في غيرها من التشريعات، فقد جعلها الإسلام مقاييس مبنية على الاعتقاد، فكانت وازعًا عقديًا يزع الإنسان للالتزام بها مخافة الله، ومحبة في الله، ورجاء في جنب الله، مما يغني الإنسان عن الحاجة إلى قوة مصلتة عليه لتردعه ليلتزم القانون، بل تجعله يخضع لسلطان الله في السر والعلن، فلا يرى الإفلات من عقوبة الحاكم في الدنيا غنيمة ولا مكسبًا، فهو يعلم أن الله يراقبه، وعقوباتها دنيوية وأخروية.

ولقد تبلورت مجموعة القيم التي صاغتها الحضارة الإسلامية، والتي تؤسس للقناعات التي سيحيا عليها الناس، وترسخت في صميم العلاقات التي يقوم المجتمع عليها، فاقترن حفاظ الأمة والمجتمع على منظومة تلك القيم وحراستها، ومنع أضدادها أو ما يفسدها، برقي الأمة ونهضتها، وخيريتها، وانسجامها مع نفسها، واقتعادها مقعد الذروة أمام غيرها من الأمم، فكانت حصنًا منيعًا شديدًا يحمي ويحفظ، واقترن تغلغل الخلل لفهم وسيادة

١١ خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالمحسن الصويِّغ. موقع الألوكة.

تلك القيم في الأمة بهبوطها وفرقتها، وتضعضع بنيان ذلك الحصن المنيع، حتى أصبحت -حين جافت التشريع الإسلامي ونأت عنه- نهشًا لسهام أعدائها، فوضعت الأمة في مهب ريح الاستعمار والاستحمار والتبعية.

ومع ذلك، فإن لقوة العقيدة الإسلامية، وصحة ودقة الشريعة الإسلامية من الأثر ما جعل الأمة وهذه الحضارة تصمد أمام زلازل ونوازل وحملات صليبية ومغولية وأمام محاولات إفنائها مرة بعد مرة، وعلى مدى قرون طويلة، وحقب متراخية، تراوحت بين الشدة والرخاء، والتطبيق البشري الحسن والسيئ لهذا النظام الرباني،

ولا يمكن أن ترتقي هذه الأمة وتقتعد مكانها السامق ثانية إلا إن حرصت على أن تسقي تلك الحضارة ومكوناتها حتى تبقى وارفة الظلال، شديدة الخضرة، فتبلور مفاهيمها -ثانية- بلورة دقيقة، تحسن فيها فهم تلك القيم ودورها في النهضة، وتصفيها مما علق بها من الشوائب في عصور الانحطاط، وتربط كل فكر فيها بالوحي، وتنقيها مما أدخل عليها من مفاهيم وقيم الحضارات الأخرى، وكلما أحسنت الأمة الإسلامية ذلك كانت أقدر على النهوض والسير في معارج العلا!

اهتزاز الهوية الحضارية للأمة الإسلامية

أما وقد اهتزت الهوية الحضارية للأمة الإسلامية في الواقع بعد أن أضحت نهبًا لكل طامع، فقد اختلَّ هذا النسيج، فوجدنا الأمة تعتقد شيئًا ولكنه لم يتمثل طريقة للعيش لديها، وشاهدنا اتساع شقة التباعد بين القيمِ التي تصوغ السلوكَ العامَّ عن تلك القيم التي ارتضاها الناس في مفاهيم الأعماق لديهم؛ أي ابتعدت عن المحتوى الفكري للرؤى والقناعات التي يمتلكها الناس، والتي تقوم على العقيدة الإسلامية، فكان واضحًا للعيان أن الناس تعيش في غربةٍ وتناقضٍ.

والأنكى من ذلك أن يُحكَمَ المسلمون بأمر مناقض لعقيدتهم ودينهم رغمًا عنهم، فثمَّ الشقاء الروحي والتعاسة ونكد العيش، والضعف والتردي، والانحطاط والهبوط!

ولقد كانت الحملة العالمية شديدة الفتك حتى إن جموعًا كثيرة من الأمة، في العقود الأخيرة منذ أواسط القرن العشرين، كانت قد اعتقدت عقيدة أمشاجًا خلطت تصورات رأسمالية ليبرالية علمانية اشتراكية مع رؤى وقيم إسلامية، واستوردت قوانين غربية تناقض ما آمنت به من تشريعات ربانية، فلا تسل عندها عن حتمية أن ينتج الشقاء والتردي والانحطاط عن هذا، والأهم أن الأمة لن تتمكن من الانعتاق ولا النهوض إلا بالرجوع لهذا الأصل الذي تقوم عليه الحضارة فتنقيه من شوائب الاختلاط والتناقض!

وبدهي أنه لا يمكن لأمة فقدت هويتها الحضارية أن تقتعد أي مقعد بين الأمم، ولن ترحمها الأمم الأخرى، بل ستكون بضعفها هذا، عرضة للنهب والسلب والسيطرة والاحتلال، فتكون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام! خصوصًا إذا سادها شذاذُ الآفاق، رويبضاتٌ عملاء رعاةٌ لمصالح الغرب الكافر، باعوا أمتهم بثمنٍ بخسٍ كراسيَّ مهترئةٍ! ■ [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

دين جديد برعاية إماراتية سعودية مصرية:
٣- الدور المصري في تحريف الدين

حامد عبد العزيز

في يناير/كانون الثاني ٢٠١٥م، دعا السيسي إلى تجديد الخطاب الديني، وخاطب العلماء بقوله: «والله لأحاجيكم يوم القيامة، فقد أخليت ذمتي أمام الله؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك دين يتصادم مع الدنيا كلها». وسارع المسؤولون لتطوير المناهج بالأزهر لتلبية الدعوة، فأعلن وكيل الأزهر الشريف عباس شومان أن المشيخة استشعرت خطورة المرحلة التي تمر بها الأمة بظهور أفكار ورؤى تخالف المنهج الأزهري الوسطي، فبادرت بالعمل على إصلاح منظومة التعليم الأزهري، فتم حذف ما قد يفهم في غير معناه. وأضاف شومان أن الأزهر سيقوم بتعديل المناهج الدراسية كل ثلاث سنوات من أجل مواكبة العصر ومواجهة الفكر المتطرف، وفق وصفه. وأكد شومان حذف الأحاديث التي قد تفهم خطأ مثل: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**» مشيرًا إلى أن تلك الأحاديث قد يفسرها البعض خطأ، فتم حذف كل ما قد يفهم في غير معناه، وتم استبدال (الإفساد في الأرض) (بالإرهاب)، و(البغي) (بحكم الخروج على الحاكم).

كما قامت لجنة الأزهر المُستأمَنة على مراجعة مناهج التربية الدينية بحذف بعض الجمل من المناهج التعليمية كتلك الجملة: «ما تفعله إسرائيل حاليًا يعد أفظع أنواع الإرهاب والتطرف، ماذا تسمي طرد وتشريد شعب بأكمله من بلاده وهدم منازله والاعتداء عليها بالقوة؟». بدعوى أن تلك العبارات: «ليست مناسبة للسن الذي يدرس لها من طلاب الإعدادي، لما بها من قسوة لا تراعي مشاعر الأطفال».

ناهيك عن الخطبة الموحدة، وتجريم الدعاء على الظالمين، ومعركة الطلاق الشفهي، والدعوة إلى تحديد مساجد معينة لصلاة الجمعة، فضلًا عن تخصيص مساجد وأئمة للتراويح، وتحديد ألف مسجد فقط للاعتكاف، وإقصاء من يخالف.

دعوة صريحة لعلمنة الدين:

يقوم الأزهر الآن بمحاولة تبديل أفكار الإسلام، والهجوم على الحركات الإسلامية الداعية لإقامة دولة الخلافة والوصول للحكم؛ لتحل محلها منهجية الأزهر التي تعمل على التركيز على تطوير العلوم الدينية والإسلامية بعيدًا عن السياسة. وهي بلا شك دعوة إلى علمانية الدين تبعًا لعلمانية الدولة.

ولا ننسى الشيخ علي جمعة الذي دعا الجيش إلى قتل المعتصمين أو المتظاهرين قائلًا: «لا تخف بدعوى الدين، فالدين معك، والله معك، ورسوله معك، والمؤمنون معك، والشعب بعد ذلك ظهير لك». والذي قام بتحليل الفوائد والودائع البنكية بدعوى أنَّ علة الربا كانت في الذهب والفضة ونحن الآن نتعامل بالأوراق النقدية. ولا كلام سعد الدين الهلالي الضيف الدائم في فضائيات النظام في وصلته النفاقية الشهيرة: «فابتعث الله أيضًا رجلين، كما ابتعث وأرسل من قبل رجلين موسى وهارون، أرسل رجلين وابتعث رجلين، ما كان لأحد من المصريين أن يتخيل أنَّ هؤلاء من رسل الله عزَّ وجلَّ، وما يعلم جنود ربك إلَّا هو... خرج السيسي ومحمد إبراهيم».

الترويج بأن الخلافة فكرة تاريخية عفا عليها الزمان:

وفي وثيقة نشرتها (المصري اليوم) وقالت بنسبتها إلى الأزهر خرجت من مؤتمره العالمي (التجديد في الفكر الإسلامي) الذي عقد في الفـترة في ٢-٣ جمادى الآخرة ١٤٤١هـ الموافق ٢٧-٢٨ كانون الثاني/يناير٢٠٢٠م، قرر علماء الأزهر محاربة: «رفع شعارات الخلافة الكاذبة لبث الفتنة وتمزيق الأوطان وإلصاق صفة الإسلام بها مخالفة لكل قيمة في الإخاء والمساواة والشورى الديمقراطية» ليؤكِّدوا بعدها في ذات الوثيقة على أنَّ هذه الوثيقة يجب الالتزام بها في «تحديدها لمبادئ طبيعة الدولة ومقوماتها في الحكم المدني الدستوري على أسس ديمقراطية تحقق جوهر العدالة والحرية والمساواة بعيدًا عن فكرة الخلافة التاريخية».

لقد حظي مفهوم الحاكمية بنصيب وافر من البيان أرادوا من خلاله تفريغه تمامًا من محتواه من خلال الهجوم على الجماعات الإسلامية ووصفها بالمتطرفة لأنها تقول أن لا حكم إلا لله بمعنى أنه سبحانه وحده له حق التشريع، أي أنه يجب أن يكون دستور الدولة والقوانين مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، يقوم بذلك العلماء المجتهدون الذي توفرت فيهم شروط الاجتهاد، ولقد حاول البيان الختامي التدليس على الناس عندما قرر أن الحاكمية تعني (عدم إسناد الحكم إلى الناس) وكأن الدولة الإسلامية دولة إلهية أو تحكمها ملائكة! إن الدولة الإسلامية دولة بشرية يقوم عليها بشر، ولكن هؤلاء الحكام إنما يحكمون بما أنزل الله، فهناك ما أنزل الله وهناك من يحكم به. ونحن نسأل شيخ الأزهر بما أنك أقررت في بيانك هذا بأن «الحكم البشري المنضبط بقواعد الشرع لا يتعارضُ مع حاكمية الله، بل هو منها» فهلَّا قلت لنا وأين النظام، الذي أنت من أركانه ودعائمه، أين هو من الحكم المنضبط بقواعد الشرع؟ وأين هو من حاكمية الله بهذا المفهوم؟

ومما ورد في البيان أيضًا «إن الخلافة نظام حكم ارتضاه صحابة رسول الله ﷺ

ناسب زمانهم، وصلح عليه أمر الدِّين والدُّنيا، ولا يوجد في نصوص الكتاب والسنة ما يلزم بنظام حكم معين، بل كل نظام من أنظمة الحكم المعاصرة تقبله الشريعة ما دام يوفّر العدلَ والمساواة والحرية، وحماية الوطن، وحقوق المواطنين على اختلاف عقائدهم ومِلَلِهم، ولم يتصادم مع ثابت من ثوابت الدين»، فهذا من أعظم التدليس على الناس في دين الله.

دور الإعلام المصري:

مما لاشك فيه أن النظامين الإماراتي والسعودي في هذا المجال عيال على النظام المصري، الذي لديه خبرة طويلة في صناعة الأفلام والمسلسلات التي تروج للنظام وتستهدف نشر الرذيلة والفجور في المجتمع، أو التي تعمل على تشويه الحركات الإسلامية، وحتى تشويه المتدين العادي، كفيلمي (الإرهابي) (والإرهاب والكباب) للممثل عادل إمام، ومسلسل هذا العام (الاختيار) الذي تنتجه جهات سيادية مصرية والذي تعمد الهجوم على ابن تيمية واعتباره إرهابيًا قد افتى بقتل المدنيين، هذا بخلاف الهجوم الذي تشنه صحف النظام وبرامج التلفاز على الإمام البخاري وصلاح الدين الأيوبي، حيث وصف الكاتب يوسف زيدان القائد صلاح الدين الأيوبي في لقاء تلفزيوني بأنه (أحقر شخصية تاريخية)، وقبلها قال: إن (المسجد الأقصى المقصود قريب من مكة، وليس بالقدس)، كما ظل المذيع إسلام بحيري شهورًا يهاجم في برنامجه التلفزيوني الإمام البخاري حتى أدانه القضاء بالسجن، ثم خرج بعفو رئاسي، فلم يطق السيسي أن يبقى الرجل حبيسًا، بينما هو ينفذ سياسة ممنهجة تتبعها الدولة المصرية بناء على توصيات تقرير مؤسسة راند الأمريكية الصادر منذ عشر سنوات بعنوان: (بناء شبكات مسلمة معتدلة) والذي دعا لما يسميه (ضبط الإسلام نفسه وليس الإسلاميين) ليتماشى مع الواقع المعاصر، فالتقرير دعا للدخول في بنية الإسلام التحتية بدايةً من الطعن في الثوابت الدينية، وانتهاء بالهجوم على الشخصيات والرموز الإسلامية. وهذا ما يقوم على تنفيذه النظام المصري الذي أطلق كلابه لتنبح صباح مساء في وسائل إعلامه المختلفة المسموعة والمرئية للهجوم على الإسلام ورموزه والحركات الإسلامية.

ما الهدف من وراء تجديد الخطاب الديني المزعوم؟

لا أرى في هذه الهجمة إلا سبيلًا لضرب الأحكام الشرعية في نفوس الناس، ليصبح المسلم بعدها بلا هوية ولا حاكم، إلا مجرد بعض الأوامر والنواهي التي تُقِرُّها الدولة- حسب مصلحتها- والـمُعرَّضة للتغيير بحسب البيئة والظروف وأهواء الحكام، ويستمر هذا التفريط إلى أن يصل إلى أصول الإسلام وثوابته، فيصبح الحجاب فضيلة لا يُنكر على من تتركه وليس حكمًا شرعيًا ثابتًا بالنص، والصلاة شأن

شخصي، والقرآن يَحُضُّ على الإرهاب، فيجب إلغاء كتب التفاسير القديمة واستحداث تفسير عصري للقرآن الكريم، بل وقد تم حرق بعض الكتب الإسلامية في تظاهرة إعلامية ساقطة، وهكذا حتى يقضوا على قيمة الدين بالكلية في نفوس المسلمين. وفي هذا الصدد يقول الشيخ فهد العجلان: «إذا كانت الأوامر الشرعية غير مُلزِمة، والنواهي غير ممنوعة، فإن السير على هذا الطريق يوصلك إلى بوابة العَلمانية، وإن لَعَنتَها وبَصَقتَ عليها؛ فالعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة؛ بمعنى عزل الأحكام الشرعية عن أن تكون مؤثرة في نظامٍ عامٍّ مُلزم للناس، وحين تكون الأحكام الشرعية شأنًا خاصًا يُحمَد فاعله ولا يُتعرَّض لتاركه، وليس لها تعلُّق بنظام أو سلطة فنحن بهذا في وسط باحة العَلمانية».

الدور الغربي الكامن في الخلف:

١- دعم التصوف:

دعم التصوف - وخاصة نماذج الحلاج وابن عربي وأمثالهم - هو لبُّ توصيات المراكز الغربية وخاصة الأمريكية، فمن مؤتمر (فهم الصوفية والدور الذي ستلعبه في رسم السياسة الأمريكية) الذي أعده مركز نيكسون، إلى تقرير (بناء شبكات مسلمة معتدلة) لمؤسسة راند المنبثقة من وزارة الدفاع الأمريكية مرورًا بدراسة (الإسلام المدني الديمقراطي) للمؤسسة ذاتها، كانت هناك توجيهات واضحة أشارت إليها هذه الدراسات، وفي بعض الأحيان أرشدت إلى إجراءات عملية تخدم الرؤية الرامية لبناء أرضية مشتركة تعاونية مع الحركة الصوفية.

فقد دعا كل من برنارد لويس ودانييل بايبس القريبان من البيت الأبيض لعقد تحالف مع الطرق الصوفية لملء الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة. وقد نفذت الإدارة الأمريكية هذه التوصيات منذ من فترة صدورها وإلى الآن، فقامت بالعديد من الأنشطة لمد جسور التقارب مع الصوفية، وكان أكثر من تبعها في ذلك الإمارات التي فتحت ذراعيها للحركة الصوفية ومؤسساتها، حتى غدت أبو ظبي من أهم حواضن الحركة الصوفية في العقد الأخير.

تتباين عدد من التيارات الإسلامية وتختلف رؤيتها بشأن عدد من القضايا كطريقة التغيير والمشاركة السياسة مع الأنظمة وشكل نظام الحكم، إلا أنهم يتفقون في الاهتمام بالشأن العام وخوض غمار السياسة وعدم الانعزال عن الواقع، وتأتي الصوفية على العكس من ذلك، فهي تتبنى في الغالب منهجًا انسحابيًا تركز فيه على العبادات الفردية والتزكية الأخلاقية وتترك الساحة السياسة للحكام، وهذا ينسجم تمامًا مع مصالح الدول وفي مقدمتها أمريكا التي تنظر بعين الرضا لهذه الحركة.

فأمريكا تعمل على نشر الفكر الصوفي لأنه فكر غير مقاوم للمحتل ومن مبادئه: دع الخلق للخالق، ولو شاء ربك ما حدث كذا،

ويصرحون بأنهم ينتظرون المهدي وهذا ما تريده أمريكا، وهناك محاولة دؤوبة من ابن زايد ومَن خلفه لإشاعة وتثبيت مبدأ (وحدة الأديان) وقد نادى بذلك ابن عربي والحلاج، فمن هنا يعملون على تلميع وإظهار هذه الشخصيات للاقتداء بهم.

إن الهدف الفعلي من التقارب أو التزاوج بين التيار الصوفي والنظام الإماراتي وكذلك النظام المصري، هو لإنتاج إسلام فارغ المضمون والمحتوى، إسلام معزول عن مناحي الحياة ولا يبحث في تنظيم شؤون البشر ومعالجة مشاكلهم في الدنيا.

٢- الإسلاموفوبيا:

وفق تقرير صدر عن مركز التقدم الأمريكي عام ٢٠١١م، يقصد بالإسلاموفوبيا خوف أو كراهية أو عداء مبالغ فيه ضد الإسلام والمسلمين، تقوم على صور نمطية سلبية وتؤدي إلى التحيز ضد المسلمين والتمييز ضدهم وتهميشهم وإقصائهم. وهي بهذا المعنى، وفق الباحث في الشؤون الأمريكية، علاء بيومي، ليست تحيزًا عارضًا ضد الإسلام والمسلمين بسبب عدم المعرفة أو الجهل، إنما تتعدى ذلك بكثير... إلى التحريض ضد المسلمين والإسلام.

يعتبر الكاتب والمفكّر المغربي حسن أوريد أنّ «شعورًا مستترًا بالعداء للإسلام كان موجودًا في الغرب منذ فترة التوسع الاستعماري الأوروبي لعدد من البلدان الإسلامية» موضّحًا أنّ «هذا الشعور كان قائمًا على اعتبار أنّ الثقافة الإسلامية ثقافةٌ قدَرية وقائمة على الخُرافات».

إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر من عام ٢٠٠١م، بالولايات المتحدة الأمريكية، روّج الكثير من المفكّرين الغربيين لفكرة (الخطر الإسلامي). بعد ذلك بفترة قصيرة، دخل المُصطلح إلى المعاجم الفرنسية، وعُرّف بكونه «شكلًا خاصًّا من الحقد الموجّه ضد المسلمين، يتجلى في أفعالٍ ومشاعر عدائية ضد المهاجرين المنحدرين من أصول مغاربية».

في هذا السياق، يرى المفكّر المغربي حسن أوريد أنّه «لا يمكن الحديث عن إسلاموفوبيا قبل أحداث١١ سبتمبر، إذ بعدها مباشرةً صدرت كتاباتٌ تتهجّم مباشرةً على الإسلام، وتعتبر أنّ الإسلام هو العدو، سواء في أوروبا أو في الولايات المتحدة». من هذه الكتابات (السعار والفخار) للصحفية الإيطالية أوريانا فالاشي، الذي يحذّر الغربيين من الإسلام، ويدعوهم إلى تدارك أمورهم قبل أن يعمّ الإسلام أوروبا، ويستعمرها عن طريق التزاوج والهجرة.

كان لهذه الظاهرة نتائجُ سلبية على المسلمين في أوروبا. ففي السّابع من مايو من عام ٢٠٠٢م، وقعت حادثةٌ رهيبة في بروكسيل ببلجيكا، إذ اقتحم أحدُ مناصري اليمين المتطرّف البلجيكي شقة عائلةٍ مغربية

ببروكسل، وقتل أصحابها قبل أن يُضرم فيها النّار ويهرب. هكذا بدأ يتمظهر الرّهاب الصّادر من مناصري اليمين المتطرّف: إبادة كلّ ما هو مسلم. ومؤخّرًا، أعادت حادثةُ مسجد نيوزيلاندا إلى الأذهان موضوع الإسلاموفوبيا، وكسّرت، في نفس الوقت، الفكرة النمطية التي تربط الإرهاب بالإسلام، باعتبار الشخص الذي قام بهذا الهجوم الإرهابي، الذي راح ضحيته العشراتُ من الأبرياء، كان مسيحيًا.

يرى باحثون ومتخصصون في قضايا الإسلاموفوبيا، أنّ هذه الأخيرة هي نزعةٌ عامّة قائمة في المجتمعات الغربية؛ لكنّها أيضًا صناعة بحدّ ذاتها؛ إذ هناك جهودٌ دؤوبة تفتعل هذه النزعة وتُزكيها لأغراضٍ سياسية. ولعل من أهم هذه الأغراض السياسية دفع المسلين دفعًا نحو التخلي عن أي مظهر من مظاهر تدينهم والاندماج بشكل كامل في المجتمعات الغربية، أي تحت شعار (اندمج أو ارحل)، ليس هذا فحسب، بل يمكننا القول إن دعوات التجديد والحداثة والعصرنة تصب كلها في هذا الاتجاه الذي سيفضي إلى تدجين الإسلام حتى يقبله الغرب ويرضى عنه.

خاتمة:

بعد استعراضنا لما يقوم به مثلث الشر (الإمارات –السعودية – مصر)، من محاولات لتحريف دين الله، وخدمة أعداء الأمة الذين يتربَّصون بها صباح مساء، لابد من التذكير بأمرين مهمين:

الأول: أن ما يقوم به هؤلاء ليس المحاولة الأولى لأعداء الأمة ولن تكون الأخيرة، فالصراع بين الكفر والإيمان صراع أبدي ولن يتوقف أبدًا، والآيات التي تؤكد هذه الحقيقة كثيرة لا يسعف المقام بذكرها، لكن نذكر بعضًا منها، من تلك الآيات التي تقرر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ وقوله سبحانه:﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾، وقوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾ فهذه وغيرها ليس بالقليل تبين حقيقة مسار التاريخ، وأنه صراع بين الحق والباطل، وتصارع بين الخير والشر. ولا تخفى في هذا المقام دلالة تسمية القرآن بـالفرقان؛ لما فيه من فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ولما فيه من تفرقة بين نهج السماء ونهج الأرض، وبين تشريع البشر وتشريع رب البشر.

الثانية: مهما كانت قوة الباطل وسطوته وكبر مكرهم وتآمرهم، فإن العاقبة والنصر لعباد الله المتقين. فالباطل، وإن حقق انتصارات هنا وهناك، فإنها انتصارات آنية واهية، وليست بانتصارات حقيقية واقعية. يخبرنا القرآن

حول هذه الحقيقة في آيات كثيرة، تبين أن النصر دومًا في جانب الطرف الذي يدافع عن الحق، وأن الهزيمة في النهاية واقعة في جانب الطرف المدافع عن الباطل. نجد هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ وقوله عز وجل: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾ وقوله تعالى:﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾، وقوله عز من قائل: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩﴾ وأخيرًا لا آخرَ قوله تعالى:﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

كما أشار القرآن الكريم إلى سُنَّة أخرى وثيقة الصلة بسُنَّة الصراع بين الحق والباطل، ألا وهي (سنة التدافع)، تلك السنة التي تقرر أنه سبحانه لا يُمكِّن للباطل في هذه الحياة ليستعبد الناس، ولا يفسح له المجال ليسخر عباد الله لخدمته وتحقيق مآربه، بل إنه سبحانه يقيم من أهل الحق من يقف في وجه الباطل، ويتصدى له في معاركه كافة، وهذه السُّنَّة هي المُعبَّر عنها بقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ أي لولا أنَّ الله تعالى يدفع كيدَ الكافرين ومكرهم وظُلْمهم وغَشَمَهُم بجهاد طائفة من المؤمنين ونضالهم ورباطِهم؛ لصارت الأرض كلها غابة موحشة تعوي في جنباتها الذئاب.

إن الباطل وأهله في عزة ومغالبة وشقاق ومنازعة، والملأ منهم والكبراء يستحثون الأتباع والأشياع الأذلاَّء أن يمضوا في عدائهم وحربهم للحق وأهله، وأن يصبروا على آلهتهم وزعمائهم؛ بزعم أنّ دعوة الحق وراءها شيء يُرادُ، وغرض يُدَبَّرُ له، وهذا الذي يمضون فيه هو دأب الأمم قبلهم، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد، وكسائر الأحزاب الذين طغوا في البلاد؛ لأنَّها سُنَّة ماضية لا تتخلف، سُنَّة التدافع بين الحق والباطل، والصراع الدائم بين أهل الحق وأهل الباطل.

لقد قيَّد الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة على مدار تاريخها الطويل من يدفع عنها تآمر المتآمرين، وعبث العابثين، وتحريف المحرفين وابتداع المبتدعين. فقيَّد لها على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها، ويعيده كما كان غضًا طريًّا. ولن يفلح أبدًا أبناء زايد ولا ابن سلمان ولا غلمان السيسي في مخططهم هذا أبدًا كما لم يفلح أسلافهم من قبل، فكيد أولئك هو يبور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾. ■ [انتهى]

الصراع الأذربيجاني الأرميني: "صراع عالمي ضد المسلمين"

أفادت صحف فرنسية بأن «مارك دي كاكويراي فالمينيه» زعيم مجموعة «Zouaves Par-is» اليمينية المتطرفة أعلن التوجه إلى إقليم «قره باغ» للقتال إلى جانب الأرمن ضد أذربيجان، في إطار ما يقوله التنظيم إنه «صراع عالمي ضد المسلمين» ويعرِّف «دي كاكويراي فالمينيه» نفسه بأنه «فاشي» بحسب الصحيفة، ويؤكد انتهاج منظمته أيديولوجية «النازية الجديدة» وأعلنت المجموعة مرارًا دعمها للانفصاليين والقوات الأرمنية في الإقليم المحتلّ منذ عقود، في إطار «صراع عالمي ضد المسلمين»، معتبرة أن «مستقبل قارتنا وحضارتنا على المحك في قره باغ» ولم يتضح عدد الفرنسيين المتواجدين في قره باغ للقتال إلى جانب الأرمن ضد أذربيجان. وأعرب «دي كاكويراي فالمينيه» عن رغبته بإنشاء «لواء من المتطوعين الأجانب» بالتعاون مع الأرمن، بحسب الصحيفة. هذا وقد أعلنت أذربيجان وجود عناصر أجنبية، ولا سيما من «حزب العمال الكردستاني» وميليشيات لمواطني دول مختلفة من ذوي أصول أرمنية، ولا سيما لبنان. وأشارت الصحيفة إلى أن ذلك يأتي في إطار «تقليد قديم» لليمين المتطرف، موضحة أن العشرات شاركوا خلال السبعينات في القتال في لبنان مع الكتائب المسيحية، فضلًا عن مشاركتهم في نزاعات بمناطق أخرى مثل ميانمار وأنغولا. وفي الآونة الأخيرة، اجتذب الصراع في أوكرانيا العديد من المقاتلين الفرنسيين، بحسب الصحيفة، فضلًا عن أنشطة منظمة «زواف باريس» داخل البلاد. هذا وتشير كلمة «زواف» إلى فوج من الجيش الفرنسي إبان احتلال الجزائر، يضم مرتزقة محليين وأجانب.

الوعي: إن الحرب على الإسلام قائمة بأشكال مختلفة، وبشكل معلن وغير معلن، وكلها يقوم بها دُول وعناصر وفئات تغلب عليهم العنصرية والبعد عن الحق، وهي تضم أشرَّ الخلق. والأرمن الذين أحسنت إليهم دولة الخلافة أكثر من غيرهم؛ ولكن **اتَّق شر من أحسنت إليه**.

السفير الأمريكي بإسرائيل: فوز ترامب سيغير الشرق الأوسط لـ ١٠٠ عام مقبلة

في تصريحات أدلى بها لصحيفة «جيروزاليم بوست" (الإسرائيلية) الناطقة بالإنجليزية، أعلن السفير الأمريكي لدى (إسرائيل) ديفيد فريدمان إن السياسات التي يعتزم الرئيس دونالد ترامب تنفيذها في حال فوزه بولاية رئاسية ثانية ستقود إلى تحول في الشرق الأوسط للمئة عام المقبلة، مشيرًا إلى عمله لتوسيع دائرة التطبيع مع (إسرائيل) وتشديد الضغط على إيران. وأضاف فريدمان أن أصدقاء الولايات المتحدة الحاليين والمحتملين يتوقون للانضمام إلى دائرة السلام والاستفادة من ثمارها، بينما «أولئك المعادين فليبقوا خارجها» وتابع أن إيران تئن تحت الضغط المتعاظم عليها، بينما يعاني المانحون للفلسطينيين من الجفاف، حسب تعبيره.

وبعد أن تباهى بتطبيع دول عربية علاقاتها مع (إسرائيل) قال فريدمان إن هناك ما بين ٥ إلى ١٠ دول أخرى على أهبة الاستعداد لإقامة علاقات مع (إسرائيل) وعندها سيدرك الفلسطينيون أنهم في الجانب الخطأ من التاريخ وسيغيرون اتجاههم، حسب رأيه. ومضى السفير الأمريكي إلى القول إن إعادة انتخاب ترامب رئيسًا ستحوِّل العقلية من المقاومة إلى الاصطفاف للصعود للطائرة، حسب تعبيره.

الوعي: إننا نزيد على هذا السفير اليهودي الذي يعتبر من الأكثر تأييدًا لـ (إسرائيل) بالقول إن إيران هي على نفس خط التطبيع الذي يسير عليه المطبِّعون؛ ولكن الدور الأمريكي الموكَل إليها يقتضي أن تقف هذا الموقف المعادي ظاهريًا... ولكن ما لا يعرفه إلا المسلمون الملتزمون بأمر ربهم أن (إسرائيل) لن يقضي عليها إلا عباد لله أولي بأس شديد تقودهم دولة خلافة راشدة... إن الأرض المباركة هي على موعد آخر مع النصر، بإذن الله، وكل آتٍ قريب.

هكذا ينخرط أرمن لبنان في حرب قره باغ

يتفاعل الشارع الأرمني بشكل ملحوظ مع الحرب الأرمينية الأذربيجانية من خلال سماع أصوات الأناشيد الأرمينية التي تصدح في الأحياء، والمشاركة في حملة جمع التبرعات المالية للشعب الأرمني والمقاتلين في إقليم ناغورني قره باغ «للدفاع عن وجودنا» و«أجسادنا في لبنان وأرواحنا في أرمينيا، نشعر أحيانا بالعجز نتيجة غيابنا عن ساحة المعركة، لكننا نقاوم بما نستطيع إليه سبيلًا» و«نشعر بمحاولة جديدة لإبادتنا في أرتساخ (ناغورني قره باغ) بعد ١٠٠ عام من مجزرة طبعت تاريخنا وغيرت مصير حياتنا» و«سنفعل المستحيل من أجلهم، حتى لو اضطر الأمر أن نتطوع جميعًا بالجيش الأرميني، فإما أن نكون في قضية وجودنا وإما لا نكون» كما يصرحون. ويرفضون وصف الأرمن الذين التحقوا بالمعارك بـ «المرتزقة»، ويرون أنهم «يدافعون عن حقهم بالوجود في أرمينيا وكل العالم» وهكذا نرى أن أرمن لبنان يعيشون حالة من الترقب والقلق، ما دفع العشرات منهم للسفر نحو أرمينيا، إمّا لإيصال المساعدات، أو حتى للقتال إلى جانب قواتها، أو لمتابعة المعارك وتوثيق أحداثها بالصور والفيديوهات. وهم يتمتعون بروابط عائلية في أرمينيا، وهو ما يجعلهم يتابعون يوميًا لوائح أسماء القتلى للبحث عن معارفهم....

الوعي: الأرمن أينما كانوا يعيشون، فإنما يعتبرون أن أرمينيا هي بلدهم الأصلي، وأنهم أمة واحدة، وهم يعادون المسلمين في كل قضاياهم.

الإمارات تدافع عن ماكرون وتدعم مواقفه ضد المسلمين

أوردت (CNN) أن ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان أكد في اتصال هاتفي مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن الممارسات الإرهابية تتنافى مع مبادئ الأديان السماوية، مشددًا على رفضه «خطاب الكراهية» وأكد الشيخ محمد بن زايد على «عمق العلاقات ورسوخها

بين البلدين الصديقين» وعبر عن إدانته الاعتداءات الإرهابية التي شهدتها فرنسا، وكذلك رفضه «بشكل قاطع أي تبرير للإجرام والعنف والإرهاب» وأعرب عن تقديره «للتنوع الثقافي في فرنسا واحتضانها لمواطنيها المسلمين الذين يعيشون تحت مظلة القانون ودولة المؤسسات التي تخدم معتقداتهم وثقافاتهم ويمارسون فيها حقوقهم في هذا الإطار». وفي الإطار نفسه، رفض وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجيّة أنور قرقاش في مقابلة مع صحيفة «دي فيلت الألمانيّة» فكرة أن يكون ماكرون عبّر عن رغبة في إقصاء المسلمين. وقال قرقاش: «يجب الاستماع إلى ما قاله ماكرون فعلًا في خطابه، هو لا يريد عزل المسلمين في الغرب، وهو محقّ تمامًا» وأضاف أنّه يجب على المسلمين أن يندمجوا بشكل أفضل، وأنّه من حقّ الدولة الفرنسية البحث عن طرق لتحقيق ذلك بالتوازي مع مكافحة التطرّف والانغلاق المجتمعي.

الوعي: يعتبر الشيخ محمد بن زايد من الحكام الأكثر مسموعية فيما يتعلق بالحرب على الإسلام، ومحاربة الإسلاموية؛ لذلك يعتبر اتصاله بالرئيس الفرنسي هو من باب تأييده والنصيحة له فيما يجب عليه أن يقوم به في الحملة على الإسلام.

الناطقة باسم حكومة بريطانيا تثير تفاعلًا بعد تغريدة لحديث عن أبي بكر الصديق

أثارت الناطقة باسم الحكومة البريطانية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، روزي دياز، تفاعلًا بين نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، بعد تغريدة نقلت فيها حديثًا عن أبي بكر الصِّدِّيق (الخليفة الراشد الأول بعد النبي ﷺ)حيث قالت: «يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**لا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلًا ولا تغرقنه...** يبدأ اليوم العد التنازلي لانعقاد قمة العمل المناخي ٢٦ في المملكة المتحدة العام المقبل... من واجبنا الحفاظ . على (الأرض) لنعالج معًا ظاهرة تغير المناخ». عشرون يومًا من الحرارة المميتة سنويًا، وانهيار النظم البيئية، ونزوح لأكثر من مليار شخص، هذه كلها سيناريوهات محتملة يمكن أن تدمر المجتمعات بحلول العام ٢٠٥٠، إذا لم يُتخذ إجراء سريع ودراماتيكي للحد من تغير المناخ، وذلك وفقًا لتقرير صادر عن مركز للأبحاث يدعمه قائد عسكري أسترالي سابق. التقرير الذي أعده المركز الوطني للبحث في تغيرات المناخ ومقره ملبورن قام برسم مستقبل قاتم؛ حيث قد يتشرد أكثر من مليار شخص، وينخفض إنتاج الغذاء، وتصبح بعض مدن العالم الأكثر اكتظاظًا بالسكان مهجورة جزئيًا.

الوعي: إن هذا التصريح هو شكل من أشكال فرض الإسلام نفسه في العالم كحضارة نظيفة مستقبلية لها. وفي الوقت نفسه يظهر فشل الحضارة الغربية التي أوجدت أزمة مناخ عالمية تهدد شعوب العالم، ولا تأخذ طريقها للحل بسبب مطامع الرأسماليين الذين لا يهمهم إلا جشعهم ومصالحهم.

الصين تفصل آلاف الأطفال من الإيغور عن آبائهم

وفقًا لصحيفة «الغارديان» البريطانية، أنه في إطار»سياسة منهجية لتفريق العائلات» يعاني الآلاف من أطفال الإيغور المسلمين في الصين بعد إجبار أمهاتهم أو آبائهم أو كليهما على دخول معسكرات الاعتقال الصينية والسجون وغيرها من مرافق الاحتجاز. وقال الباحث أدريان زينز: «إن استراتيجية بكين لإخضاع الأقليات المضطربة في شينجيانغ تتحول بعيدًا عن الاعتقال، وتتجه نحو آليات السيطرة الاجتماعية طويلة الأجل. هي معركة تؤثر على قلوب وعقول الجيل القادم» وتقدر الأمم المتحدة أن أكثر من مليون مسلم اعتقلوا في شينجيانغ، ويقول نشطاء إن جرائم ضد الإنسانية وإبادة جماعية تقع هناك. ويقول الباحثون والمدافعون عن الحقوق إنها تهدف إلى القضاء على الثقافة المحلية، وقمع نمو سكان الإيغور. وفي المقابل، يدافع المسؤولون الصينيون عن سياساتهم باسم جهود التخفيف من حدة الفقر ومكافحة الإرهاب. وغالبًا ما يتم وضع الأطفال في ملاجئ أيتام تابعة للدولة أو مدارس داخلية ذات إجراءات أمنية مشددة، حيث تتم مراقبة الطلاب عن كثب. وفي جميع الفصول على الأطفال التحدث بلغة الماندرين بدلًا من لغتهم الأم الإيغورية. هذا وتندد الولايات المتحدة بمعاملة الصين للإيغور وغيرهم من الأقلية المسلمة في شينجيانغ، وفرضت عقوبات على مسؤولين صينيين تنحي عليهم باللائمة في الانتهاكات.

الوعي: إن المسلمين الإيغور يعانون مأساة شديدة بسبب دينهم كغيرهم من المسلمين في العالم، ولئن سمعنا عن أن أميركا تدين هذه الانتهاكات فهي بدورها تقوم بأكثر مما تقوم به الصين وغيرها من جرائم ضدهم، بل هي تتقدم على الجميع. وكلهم يقومون بذلك تحت دعوى محاربة الإرهاب. تريد بهذه الدعوى أن تستخدمها لمصلحتها في حربها الباردة مع الصين... إن مأساة الإيغور، كما مآسي المسلمين في كل مكان، لن يحلها إلا دولة الخلافة القادمة إن شاء الله. وإذا أراد المسلمون أن ينتهوا من كل مآسيهم فليس لهم إلا هذا السبيل.

تنسيق أمني بين المغرب و(إسرائيل) مقدمة لقيام تطبيع علني

نقلت قناة (إسرائيلية) أخبارًا حول زيارة سرية لوفد أمني مغربي رفيع المستوى قضى بـ (إسرائيل) مدة أسبوع في فندق وسط البلاد، وقد أسفرت المحادثات إلى الاتفاق على ما أسمته ذات المصادر بـ«بالتعاون المشترك» إن التعاون المغربي (الإسرائيلي) ليس وليد اليوم بل يأخذ أشكالًا متقدمة في إطار تطبيع غير ظاهر للعلن؛ إذ إن العلاقات (الإسرائيلية) المغربية في شقها الاقتصادي كذلك قد قطعت أشواطًا متقدمة بعيدًا عن التداول الإعلامي؛ حيث أضحت المبادلات التجارية بين البلدين تعرف نموًا ونشاطًا كبيرين.

الوعي: تعتبر دولةالمغرب من الدول العربية السبَّاقة في التطبيع السري مع (إسرائيل) وهي تترأس «لجنة القدس» وانتقالها إلى التطبيع العلني سيفضح دورها الخفي في ترؤسها لهذه اللجنة، وأنها كانت توزيع أدوار للإمساك بقضية فلسطين من كل أطرافها. فلا تحسبوا انتقالها هذا شرًا للمسلمين بل هو خير لهم، وهذا التطبيع إنما هو تطبيع حكام، والأمة منه براء.

قال الله تعالى

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ﴾.

هذه الآيات الثلاث هي خاتمة سورة البقرة، وقد انتهت بما بدأت به: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.

وكما بدأت بالبشرى للمؤمنين بالفلاح، انتهت كذلك بما سماه الصحابة (نزول الفرج) بتجاوز الله سبحانه عما داخل النفوس، وعدم المحاسبة إلا على ما يظهر من قول أو فعل، والله غفور رحيم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾.

ثم كان فضل الله العظيم ورحمته الواسعة وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، فعلمنا دعاء يحيي القلوب ويشرح الصدور في ضراعة للرحمن بالإجابة والقبول:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.

هذه الآيات الثلاث ختمت هذه السورة العظيمة ببيان فضل الله العظيم على عباده المؤمنين، فسبحان الله رب العرش العظيم! يبين الله سبحانه في هذه الآيات ما يلي:

١. إن الله سبحانه هو مالك السموات والأرض وكل ما تحتويه، يتصرف فيها كيف يشاء لا رادّ لحكمه، يعلم الجهر وما يخفى ويحاسب عليه، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.

أخرج مسلم عن ابن عباس قال: "لما نزلت ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من قبل. فقال النبي ﷺ: **قولوا سمعنا**

وأطعنا وسلمنا. قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[٢]".

وفي رواية أخرى أخرجها مسلم عن أبي هريرة وأخرجها أحمد كذلك عن أبي هريرة قال: "لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ **فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثَوا على الركب فقالوا: يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصوم والجهاد والصدقة، وقد أنزل الله تعالى عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ بل قولوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فلما أقرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ الآية"[٣].**

ويتبين من هذين الحديثين أن الآية ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ نسخت بالآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ وذلك بالنسبة للمحاسبة على ما يخفيه الإنسان في نفسه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾.

أ. وهنا لا يقال كيف يُنسَخ الخبر حيث إنَّ الآية في صيغة الخبر ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ لا يقال ذلك لأنها وإن كانت خبرًا فهي في معنى طلب الترك أي: لا تظهروا من الأمور إلا الخير، وكذلك لا تضمروا إلا الخير، فالله يحاسبكم على ما تبدونه وما تخفونه، ففيها نهي عن إضمار الشر وعن إظهاره؛ ولذلك فهم الصحابة منها تكليفًا بأن ينتهوا عن إظهار الشر وعن إضماره، وثقل عليهم أن يحاسبوا على ما في داخل نفوسهم لأنهم وجدوا أن المرء قد يخشى الله ويتذكر الجنة فيقلع عن تنفيذ ما أضمره فلا تظهر عليه في قول أو فعل، فإن كان محاسبًا على ما أضمره دون تنفيذه يكون أمرًا ثقيلًا.

وعليه فإن الصيغة الخبرية في الآية - الجملة الشرطية - هي في معنى طلب الترك أي النهي عن الشر، سواء ظهر على الجوارح من قول أو فعل أم لم يظهر بل بقي في النفس مستترًا.

وهذه الآية على نحو قوله سبحانه: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾

٢ مسلم: ١٨٠، الترمذي: ٢٩١٨، أحمد: ٢٣٣/١، ابن حبان: ٤٥٨/١١

٣ مسلم: ١٧٩، أحمد: ٣٣٢/١

الأنفال/آية٦٥ فهو هنا في صيغة الخبر - الجملة الشرطية - ولكنها في معنى الطلب، أي ليقاتل الواحد منكم عشرة من الكفار ولا يفر من أمامهم، ثم نسخت هذه الآية بقوله سبحانه ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ الأنفال/ آية٦٦ أي ليثبت الواحد لاثنين.

ب. كذلك لا يقال إن ما يخفيه المرء في نفسه إن كان يتعلق بالعقيدة فإن الله يحاسبه بذلك، وهذا الحكم باقٍ والنسخ يعني إزالة الحكم، وعليه فلا نسخ بل يكون تخصيصًا بالآية الأخرى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ في الأحكام الشرعية.

لا يقال ذلك لأن الآية ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ليست في العقيدة بل في الأحكام الشرعية وذلك بقرينة تكملة الآية ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ والمغفرة لا تكون في مخالفة العقيدة لأن ما يداخل النفس من شكّ أو ارتياب فيها هو كفر، والله لا يغفر أن يشرك به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ النساء/آية٤٨.

فكون هناك احتمال المغفرة لما يظهر أو يخفى فهذا يعني أن الآية نصّ في الأحكام الشرعية وليست في العقيدة.

ج. كذلك ليس هناك من داعٍ لمحاولة التأويل في الآية لاستبعاد النسخ فيقال مثلًا إنها متعلقة بإبداء الشهادة أو كتمانها، أو أنها متعلقة بإتيانكم بالسوء الظاهر عليكم أو بإتيانكم السوء ولكن خفية، بمعنى أن ﴿تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي إبداء الشهادة أو إبداء فعل السوء ثم ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ أي كتمان الشهادة أو فعل السوء خفية، لا يقال ذلك لأن الموضوع متعلق بما يظهر ﴿تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ وما لا يظهر أي يبقى مستترًا لا يظهر بقول أو فعل ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ وذلك بدلالة ﴿مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾. أما إذا ظهر أي نفذ بقول أو فعل، سواء بشكل معلن ظاهر أم نفذ في الخفاء، فكلّ ذلك واقع تحت ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ وذلك إذا سئل شخص الشهادة فأنكرها أو أخفى جزءًا منها وذكر الباقي أو حرف أو بدّل فإن كلّ ذلك لا يقع تحت ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾بل تحت ﴿وَإِن تُبۡدُواْ﴾ لأن الإخفاء في الآية هو ما لم يظهر بقول أو بفعل بقرينة ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ ولذلك فلا يصحّ مثل هذا تفسيرًا لما ذكر في الآية ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ فالتأويل البعيد لمعنى الآية لإبعاد النسخ لا يصحّ ما دام معنى اللفظ واضحًا دون تأويل. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الروايات الصحيحة كما ذكرنا في أسباب النزول تقول بالنسخ، ويقول به كذلك عدد كبير من

الصحابة - رضوان الله عليهم -

د. كذلك لا يقال لو كان المقصود ﴿مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ هو الذي يدور في النفس، فإن الله سبحانه بذلك قد كلفنا بما لا يطاق لأن خطرات النفس لا يمكن التحكم بها، أي أن الآية قبل النسخ تكون تكليفًا بما لا يطاق بهذا المعنى.

لا يقال ذلك لأن الإخفاء في الآية غير متعلق بخطرات النفس بل بما تضمره من سوء ولكن لا تنفذه، كأن يضمر شخص في نفسه أنه سيسرق أو يزني أو سيشتم فلانًا أو سيعتدي عليه، هذا هو الإخفاء أي ما يبقى حبيسًا في النفس ولا يظهر بقول أو فعل، وكل هذا في مقدور المرء فهو ليس تكليفًا بما لا يطاق.

والآية قبل النسخ تفيد أن هذه الأمور يحاسب الله عليها حتى لو لم ينفذها الشخص، ولهذا وجده المسلمون ثقيلًا لأن النفس أمَّارة بالسوء، وقد يرد هذا في النفس ثم يخشى العبد ربه فلا يقوم به، فإن كانت العقوبة على غير ما يظهر من فعل أو قول فإن الحمل عندها يكون شاقًا ثقيلًا.

أما إن كانت العقوبة على ما يظهر من قول أو فعل فإن التحكم في هذا أيسر، فالمرء قد يضمر شرًا ولكنه يتذكر غضب الله ونار جهنم فيرعوي ويخشى الله ولا يقوم بتنفيذ ذلك الشر، فثقل على المسلمين أن يكون الحساب والعقاب على ما يخفونه في أنفسهم لكنهم يقلعون عنه ولا ينفذونه لا في قول ولا فعل.

فاستجاب الله لهم ورحمهم ونسخها بأن جعل التكليف والحساب والعقاب على كسب العبد واكتسابه، أي ما يظهره من أفعال وأقوال بجوارحه دون ما يضمره في نفسه ولا بقول أو فعل.

وفي حديث رسول الله ﷺ الصحيح ما يؤكد ذلك: "**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم**"[٢].

وأخرج مسلم من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ**».

فكانت الآية قبل نسخها تعني أن المرء لو أضمر في نفسه سيئةً ما كأن يسرق أو يعتدي على فلان ثم لم ينفذ ذلك لا بقول ولا فعل، فإنه كان يتعرض لحساب الله على ذلك قبل نسخ الآية،

٢ البخاري: ٥٢٦٩، مسلم: ٢٠١، ٢٠٢

وبعد النسخ أصبح لا يتعرض للحساب إلا عند قيامه بتنفيذ ما أضمره بقول أو فعل، وإن لم ينفذ بقول أو فعل فإن الله سبحانه يتجاوز له عنه فضلًا من الله ورحمته.

ولذلك فإن المسلمين اعتبروا نسخها فرجًا عليهم كما روي ذلك من قول بعضهم "حتى أنزل الله الفرج" بنزول قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾.

﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ قدم الله سبحانه المغفرة على العذاب لتقدم رحمته سبحانه على غضبه ولحثّ المؤمنين على الاستغفار والتقرب إليه سبحانه فيتقوا بذلك غضب الله وعذابه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٨٤﴾ فهو القاهر فوق عباده لا رادّ لقضائه، فإن غفر فهو الغفور الرحيم، وإن عذّب فهو العزيز الحكيم.

٢. تكريمًا لرسول الله ﷺ والمؤمنين الذين اتبعوه يخبرنا سبحانه أنهم آمنوا وصدقوا جازمين بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهي شهادة من الله سبحانه لنبيه ﷺ من باب التكريم له وللمؤمنين السائرين على دربه المهتدين بهديه ﷺ.

وقد كرمهم الله بصدق إيمانهم وقوة إخلاصهم، يسمعون لله ويطيعون، ويستغفرونه سبحانه، ويؤمنون بيوم يرجعون فيه إلى الله، يرجون منه رحمته سبحانه وفضله. كما أنهم يؤمنون برسل الله جميعًا، ولا يفرقون بينهم، فرسل الله من حيث النبوة لا فرق بينهم، وإن كان الله سبحانه قد ميزهم بميزات أخرى مثل نسخ الشرائع حيث أكرم الله رسوله محمدًا ﷺ بأن جعل رسالته خاتمة الشرائع وناسخة لأحكامها كما بيناه في الآية الكريمة ﴿۞تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ وعدم تعارضها مع ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ فهو عدم تفريق في النبوة، فالرسل أجمعون من حيث النبوة سواء، لا تفريق بينهم.

هكذا بين الله سبحانه في كتابه وبين رسوله ﷺ في سنته وسار على ذلك المؤمنون وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، بعد أن كانوا كما قال سبحانه ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ فهم مؤمنون صادقون يسمعون ويطيعون سماع قبول واستجابة لا كالكفار من أهل الكتاب في قولهم ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ البقرة/آية٩٣، وهم كذلك يسألون الله المغفرة في كل آن، وبالآخرة يؤمنون وأنهم لا بد إلى رب السموات والأرض راجعون. ■

أحاديث في فضل القرآن الكريم وثواب قراءته

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**» صحيح الجامع. [لينظر المسلم، هل هناك وصف أشرف له من هذا الوصف!].

- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» أبو داود وقال حديث حسن صحيح.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**» البخاري.

- عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» مسلم.

- عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القران: اقرأْ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» صحيح الجامع.

- عن جابر رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدَّمه في اللحد**» صحيح البخاري.

- حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**» مسلم.

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلِّهِ، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ ارضَ عنه، فيقال: اقرأ وارقَ ويزاد بكل آية حسنة**» الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

- قال عمر رضي الله عنه: أما إنَّ نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**» مسلم.

- عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر**» متفق عليه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما أذِن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنَّى بالقرآن**» البخاري ومسلم.

- عن عقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير إثم بالله ولاقطع (قطيعة) رحم؟**» قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: «**فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرًا له من ناقتين، وإن ثلاث فثلاث، مثل أعدادهن من الإبل**» رواه مسلم.

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: «يا ويله»** وفي رواية أبِي كُرَيْبٍ: «**ياويلى، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**». صحيح مسلم.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عن معاوية **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**» صحيح مسلم.

- عن النواس بن سمعان الأنصاري: «**يُؤْتَى بالقُرْآنِ يَومَ القِيامَةِ وأَهْلِهِ الَّذِينَ كانُوا يَعْمَلُونَ به تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وآلُ عِمْرانَ، وضَرَبَ لهما رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ثَلاثَةَ أمْثالٍ ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قالَ: كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ ظُلَّتانِ سَوْداوانِ بيْنَهُما شَرْقٌ، أوْ كَأنَّهُما حِزْقانِ مِن طَيْرٍ**

صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن صاحِبِهما» صحيح مسلم.

- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**» متفق عليه.

- عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول له: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا. فيقولان: بم كسينا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلًا**» صحيح رواه أحمد وابن ماجة.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: يقول سبحانه وتعالى: «**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى عن سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن، فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن. وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر**» رواه الدارمي.

- عن معاذ بن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجًا يوم القيامة ضوءُه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا**» رواه أبو داود.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» متفق عليه.

- عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ الَّذي لَيس في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أَعْمِل عقلَك ولا تكُن إمَّعة

أ. ياسر أبو الوليد

ميَّز الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرَّمه عن باقي المخلوقات بالعقل، وجعل العقل مناط التكليف، وبإعماله يصل الإنسان إلى حقيقة وجود الله تعالى، ويدرك عظم آياته الكونية، ومراد الله تعالى من خلق هذا الكون والإنسان والحياة.

فالإسلام ضبط للمسلم طريقة تفكيره، والكيفية الصحيحة التي يُعمِلُ بها عقله، وكذلك ضبط نفسيته وفق الأحكام الشرعية؛ فكان المسلم شخصية متميزة، صاحب رأي وقرار، قادرًا على الفهم والربط والإدراك، مستندًا على أصول ثابتة للوصول إلى نتائج صحيحة، وكانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحثُّ المسلم على إعْمال عقله في التدبر والتعقل والتفكر، وقد مدح الله تعالى من يقوم بهذه العبادة بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾.

وفي المقابل كان الذم والتحذير من العقوبة الشديدة التي تنتظر من يجمد عقله ويعطله ويصبح تابعًا لغيره، تبعية خالية من أدنى مقومات التفكير. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تكونن إمَّعة. قالوا: ما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديْت، وإن ضلُّوا ضللت.

يلفِتُ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود نظرنا ويحذرنا من الحالة (الإمَّعية) التي من الممكن أن تتسلل إلى البلاد الإسلامية، هذه الحالة التي كانت موجودة في الأمم السابقة، وقد ذكر الله في القرآن الكريم أمثلة كثيرة عن أممٍ تفشَّت فيها هذه الحالة وأصبحت تُسيِّرُ سلوكها، وها نحن اليوم نراها رأي العين بدأت تتسرب إلى أفراد أمَّتِنا وتُؤثِّرُ بهم.

والإمَّعُ: الذي يقول لكل أحد: أنا مَعك، ولا يثبت على شيء لضعف رأيِه، وقد وصف الله تعالى حال هؤلاء الإمَّعات أبلغَ وصفٍ بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ

إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾. فالإمَّعة هو عكس الشخص المبدئي؛ فالإنسان المبدئي يحمل وجهة نظر معينة عن الحياة، ومجموعة من المفاهيم التي يعتمد عليها في تسيير سلوكه، فتكون آراؤه وأفعاله مستندة إلى وجهة نظره المبدئية، وبالتالي يكون شخصية مستقلة في القرار صاحب رأي وتأثير. وأما الإمَّعة فهو صاحب شخصية فضفاضة، خالية من أي فكر، يسير مع التيار أينما سار، أحيانًا يساير وأحيانًا ينافق، ليس لديه مفاهيم يعتمد عليها، بل يعتمد على مفاهيم من يتَّبع، متقلب الآراء، حقيقة حاله كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾، شعاره الذي يسير عليه في الحياة:

«وما أنا إلا من غزيةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإن ترشد غزيةُ أرشد»

لقد كانت هذه الحالة التي تعيشها الشعوب الإسلامية نتيجة طبيعية لجهود قرون من الدول الغربية، عَمِلت من خلالها على هدم الروابط التي تجمع المسلمين، فقامت بالغزو الثقافي من خلال طرح وجهة النظر الغربية مقابل وجهة النظر الإسلامية، وضرب المفاهيم الموجودة لدى المسلمين، وأوجدت شرخًا بين المسلمين وكيانهم الذي يطبق عليهم وجهة النظر الإسلامية، واستطاعت بعد جهد جهيد تحطيم هذا الكيان، بقرار إلغاء نظام الخلافة، فظهرت على أنقاضها دويلات مصطنعة، تحمل صفة الإمَّعية، تابعة للدول الغربية، مسلوبة القرار في سياستها الداخلية والخارجية لا رأي لها ولا مشورة، تعمل على إرضاء أسيادها ولو على حساب مصلحة شعوبها، تطبق قوانين الدولة المتبوعة ووجهة نظرها في الحياة ولو خالفت معتقدات شعوبها!

ولقد أخذ الإعلام الدور الأكبر في ترسيخ المفاهيم الخاطئة لدى الشعوب المسلمة، وتعزيز صفة الإمَّعية لديهم، من خلال ضبْعِهم بالغرب بمظاهره المدنية وتطوره العلمي والثقافي والمعماري والاقتصادي وحرياته المزعومة، محاولًا تشكيل قناعة لدى المسلمين بالنموذج الغربي، وأن لا نهضة للمسلمين إلا بتبني هذه النماذج وتطبيقها.

وكذلك أخذ المجال التعليمي دوره في دَسِّ السُمِّ في العسل، فشوَّه التاريخ الإسلامي، وعمِل على إنشاء جيل ضعيف الشخصية، متواكل، وأخذ يصدِّر في مناهجه شخصيات سيئة السمعة وينظف تاريخها ويبرزها على أنها شخصيات قيادية وقدوات واجبة الاتباع.

وبالتالي بدأت الحالة الإمَّعية بالانتقال من الدول إلى الشعوب، وبدأت تنتشر هذه الحالة وتفتِك بالمجتمعات وللأسف، وبدأ تعطيل العقول يظهر بشكل واضح من خلال اتباع شخصيات يُبرزها الإعلام، في طريقة تفكيرها ولباسها وطعامها وحركاتها، هذه الشخصيات الدينية منها والإعلامية والمفكرين والباحثين والسياسيين وحتى المطربين والراقصين، وأصبح الاتّباع مدعاةً للفخر والاعتزاز.

فأصبح حالنا كما وصفه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم شِبْرًا بشبْر وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»؛ قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى؟ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَمَنْ؟!**» رواه الشيخان.

وأمام هذا الواقع المؤلم الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية، لا بد لنا من وضع نقاطٍ على حروف، تشكِّلُ عباراتٍ تحمل في طيَّاتها أفكارًا وحلولًا لانتشال المسلمين من هذه الحال الإمَّعية التي فتكت بمجتمعاتهم. وإن أهم خطوة يجب القيام بها، هي العودة إلى سيرة قدوتنا محمد ﷺ، وكيف غيّر المفاهيم الموجودة في مجتمع الجاهلية. فقد كان حالهم أسوأ من حالنا من اتباع الآباء والعادات والتقاليد. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾.

نعم، هكذا كان حالهم، ولكن رسول الله ﷺ هدم الأفكار والمفاهيم البالية، واستبدل بها مفاهيم إسلامية واضحة، فخط لهم طريقًا مستقيمًا واضح المعالم والهدف ودعاهم إليه، وصبر عليهم. وفي الوقت نفسه عمل على تربية الصحابة تربيةً تجعل منهم قيادات أصحاب مبدأ ورأي. وكذلك أسس دولة مبدئية مستقلة في سياستها الداخلية والخارجية، قوانينها وأحكامها من الشرع، هذه الدولة أنشأت أمة عظيمة، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أحسنت إليهم ولم تظلمهم.

فلنعمل جميعًا لتخليص أمَّتنا من حالة الضعف والتبعية التي تعيشها، والنهوض بها من جديد لإعادتها إلى مكانتها الحقيقية، خير أمَّةٍ أُخْرِجت للناس.

فيا أيها المسلم إن الله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عباده، فالعقل من أعظم النعم، فأدِّ شكر هذه النعمة، و«أَعْمِل عقلَك ولا تكُن إمَّعة». ■

بسم الله الرحمن الرحيم

من حدائق الخلفاء الراشدين:

أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ مِثال الخلفاء الراشدين الأوَّل

إن الأمة الإسلامية مرَّت من قبل بظروف وأوضاع شديدة لم تقلَّ معاناتها وخطورتها عما تعانيه اليوم، ولقد صاحبت الرسول ﷺ من هذه الأوضاع الشديدة القاسية ما تنوء بحمله الجبال في كل مراحل دعوته، واستمرت في التعاقب مع صحابته الكرام، وظهرت في أخطر وجوهها في الفترة الأولى من تولِّي الصدِّيق لمنصب الخلافة، ولا غرو في ذلك، إذ على المسلمين أن يعلموا أن ساحة الصراع بين الحق والباطل لا تهدأ، ولا يجوز لها أن تهدأ حتى تقوم الساعة... فالأحداث التي حدثت أيام أبي بكر دلَّت بشكل مبكر على أن الخلافة تحلُّ مباشرة بعد موقع النبوة في القيام بأمر الإسلام والمسلمين، ولا يمكن تجاهل هذا الموقع ولا السير في الحياة بدونه. ولا غرو في أن يصفها الأوَّلون، وكما هو واقعها في الإسلام، أنها درع الإسلام الواقي وحصنه الحصين، بها يُعَزُّ دين الله وأهله، ويُذَلُّ الكفرُ وأهله، بها يطبَّق الإسلام، وبها تُنشر دعوته... والخليفة كذلك يأتي دوره في الأهمية بعد دور رسول الله في إقامة الحق والعدل بين الناس، ورعاية مصالح المسلمين، وصون حرماتهم، وجمع شتاتهم، وحفظ بيضتهم. فالرسول ﷺ ترك لنا من يخلفه، فعن أَبي هريرةَ قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**كَانَت بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدي، وسَيَكُونُ بَعدي خُلَفَاءُ فَيَكثُرُونَ، قالوا: يَا رسول اللَّه، فَما تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: أَوفُوا بِبَيعَةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعطُوهُم حَقَّهُم، وَاسأَلُوا اللَّه الَّذِي لَكُم، فَإِنَّ اللَّه سائِلُهم عمَّا استَرعاهُم**» متفقٌ عليه. وقال ﷺ: «**إنما الأمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به**».

فما أن توفي رسول الله ﷺ حتى ظهر أهمية هذا المنصب في الإسلام، والذي لم يكن الإسلام ليستمر بدونه؛ لذلك كان هذا المنصب بحق هو منصب الخليفة لرسول الله، ويجب أن لا يُفقد من حياة المسلمين، ولا أن يُتهاون في ذلك، وإلا فإن إثم تعطيله سيعم المسلمين، وسينالهم إثم ما تعطَّل بتعطيله من الأحكام. وما أكثرها! ولا يمكن أن يغطي إثم القعود عن إقامتها عبادة المتعبدين، ولا صيام الصائمين، وهذا ما هو حاصل اليوم... نعم، بعد وفاة الرسول

ﷺ واختيار أبي بكر أول خليفة في الإسلام من بعده، مرَّت على المسلمين أوضاع خطيرة، كاد الإسلام أن يذهب لولا حفظ الله وهدايته بثبات أبي بكر على الموقف الحق. حدَّث البيهقي عن أبي هريرة قال: «**والله الذي لا إله إلا هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة**».

لقد كان للخليفة الأوَّل مواقف تبين أهمية هذا المنصب في الإسلام في حفظ الدولة والأمة والسير بها نحو مرضاة الله في إقامة الدين، وتبيِّن ثمرة ما أعدَّه الرسول ﷺ من الرجال الذين حملوا الأمانة الثقيلة من بعده، وكان أوَّلهم في هذه التربية والإعداد هو أبو بكر الصِّديق، ثاني اثني الرسول ﷺ في الغار، هذا الصحابي الذي ما إن جلس على كرسي القيادة، حتى دهمت الدولةَ الفتية ودينَها داهمة الردة! فبعض القبائل رفضت أداء الزكاة، والزكاة ركن من أركان الإسلام لا يجوز التديُّن إلا بها، وبعضها نقض عهده مع الإسلام والمسلمين كلية، وبعضها الآخر رفض الانصياع للقيادة الجديدة. ولم يبقَ للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، ووصل الحال بالمسلمين وبدولتهم الفتية إلى حال لم يكن ليتوقعَها أحد أن تحدث بهذه السرعة، ولا عجب في ذلك؛ إذ إن القوم كانوا حديثي عهد بالإسلام، قال سيف بن عمر: عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «**لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة، وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم الـمَطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم**».

هذا الصحابي الجليل الذي لم يسبقه في الصحبة أحد، عندما استلم قيادة المسلمين، وكان الرسول ﷺ قد عقد لجيش أسامة أن ينفذ إلى الشام، ووضع في جيشه كبار الصحابة... رفض أن يحلَّ هذه العقدة كما أشار عليه كبار الصحابة من أجل التفرُّغ لقتال المرتدين وغيرهم ممن تمرد وشقَّ عصا الطاعة، وكان من ضمنهم عمر بن الخطاب ﷺ... امتنع عن ذلك، وأبى أشدَّ الإباء، وأصر كلَّ الإصرار على أن ينفذ هذا الجيش قائلًا في فهم مدهش للإسلام قصُر عنه الآخرون من كبار الصحابة: «**واللهِ، لا أحُلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطيرَ تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرَّت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهزنَّ جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة**». ولما قال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقصت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، قال: «**والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته**».

هكذا كان أبو بكر، كما وصفته أم المؤمنين عائشة من حديث القاسم وعمرة قالت: «**لما**

قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة، وأشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في وحش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنانها وفصلها».

نعم، لقد كان خروج بعث أسامة في ذلك الوقت من أكبر المصالح، أدرك ذلك أبو بكر بصحة فهمه ودقة تقيُّده بالشرع؛ فإنهم لما ساروا لا يمرُّون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة. وفي ذلك قال أبو هريرة: «إن رسول الله ﷺ وجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قُبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا بكر، ردَّ توجُّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة، فقال: «**والذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله**»، فوجَّه أسامة، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم؛ ولكن ندعهم حتى يلقَوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام.

ولقد كان أبو بكر يواجه من المسلمين اعتراضات على أوامره لا تقل أثرًا في خرم القيادة من مواجهة الأعداء، ولكنها سرعان ما كانت تزول؛ لأن القوم كانوا قريبي عهد برسول الله وشديدي إيمان وتمسك بالإسلام وأشد حرصًا على الطاعة... كانوا وكأن الرسول ﷺ ما زال بين ظهرانيهم. وروى سيف بن عمر عن أبي ضمرة وأبي عمرو وغيرهما عن الحسن البصري أن أبا بكر لما صمَّم على تجهيز جيش أسامة، قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمِّر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال إنه أخذ بلحيته وقال: «**ثكلتك أمُّك يا ابن الخطاب، أؤمِّر غير أمير رسول الله ﷺ**»، ثم نهض بنفسه إلى الجرف، فاستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير وسار معهم ماشيًا وأسامة راكبًا، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصِّديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال: «**والله لستَ بنازل ولستُ براكب**»، ثم استطلق الصِّديق من أسامة عمر بن الخطاب وكان مكتتبًا في جيشه فأطلقه له، فلهذا كان عمر لا يلقى أسامة بعد ذلك إلا قال: «**السلام عليك أيها الأمير**».

ولنعرض بعض ما ذكرته كتب السيَر في هذا الموضوع، فقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية [الجزء السادس]:

فصل في تصدِّي الصِّديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة

قد تقدم أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم النفاق بالمدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكذَّاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفَّت على طليحة الأسدي بنو

أسد وطيِّئ، وبشر كثير أيضًا. وادَّعى النبوة أيضًا كما ادَّعاها مسيلمة الكذاب وعظم الخطب، واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة فقلَّ الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصِّديق على أنقاب المدينة حراسًا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود... وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة، ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصِّديق، وذكر أن منهم من احتجَّ بقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾.قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا *** فواعجبا ما بال ملك أبي بكر

وقد تكلم الصحابة مع الصِّديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألَّفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكُّون فامتنع الصِّديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجة عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علامَ تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها**». فقال أبو بكر: واللهِ، لو منعوني عناقًا، (وفي رواية: عقالًا) كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنَّهم على منعها، إن الزكاة حق المال، واللهِ لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة». قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة ابن سوار، ثنا عيسى بن يزيد المديني، حدثني صالح بن كيسان قال: لما كانت الرِّدَّة، قام أبو بكر في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمدًا ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رثَّ حبله، وخلُق عهده، وضلَّ أهله منه، ومقتَ الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم، قد غيَّروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه. والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشًا، وأضلَّهم دينًا في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب، فختمهم الله بمحمد وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم حتى قبض الله نبيه ﷺ، فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم وبغى هلكتهم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن

يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ولم يكونوا في دينهم، وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالًّا فهداه، وعائلًا فأغناه،﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾. والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى من بقي منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ ثم نزل.

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ... ﴾ قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه في قتالهم المرتدين ومانعي الزكاة. وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة. وارتدت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن. وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي. وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن. وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر. وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب. وارتدت سُليم مع الفجأة واسمه أنس بن عبد ياليل. وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة الأسدي، وبعثوا وفودًا إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: «لو منعوني عقالًا لجاهدتهم، فردهم، فرجعوا إلى عشائرهم فأخبروهم بقلة أهل المدينة وطمَّعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد، وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلًا يأتون أم نهارًا، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤمِّلون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، فاستعِدُّوا وأعِدُّوا، فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارة، وخلَّفوا نصفهم بذي حسى ليكونوا ردءًا لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم أن الزموا مكانكم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفشَّ العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسي، فخرج عليهم الردء، فالتقوا مع الجمع فكان

الفتح.

وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عبس، وبني مرة، وذبيان، ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدَّهم طليحة بابنه حبال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء فنفخوها، ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل أصحاب الصِّديق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئًا إلى الليل وحتى رجعت إلى المدينة.

فلما وقع ما وقع، ظنَّ القوم بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى عشائرهم من نواحٍ أخر فاجتمعوا، وبات أبو بكر رضي الله عنه قائمًا ليله يعبئ الناس، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حسًا ولا همسًا حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولَّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حبال، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة وكان أول الفتح، وذلَّ بها المشركون، وعزَّ بها المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم، فحلف أبو بكر ليقتلنَّ من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.

فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عزَّ المسلمون في كل قبيلة، وذلَّ الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدًا منصورًا، سالمًا غانمًا، وطرقت المدينة في الليل صدقات عدي بن حاتم، وصفوان، والزبرقان: إحداها في أول الليل، والثانية في أوسطه، والثالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب، فكان الذي بشَّر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشَّر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشَّر بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود، ويقال: أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه وذلك على رأس ستين ليلة من متوفَّى رسول الله ﷺ.

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليال فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه في الوقعة المتقدمة إلى ذي القصة فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلًا. فقال: واللهِ لا أفعل، ولأواسينَّكم بنفسي، فخرج في تعبئته إلى ذي حسى، وذي القصة والنعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق، وهناك جماعة من بني عبس وذبيان وطائفة من بني كنانة فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفًا، وأخذ الحطيئة أسيرًا فطارت بنو عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا، وقد غلب بني ذبيان على البلاد، وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه

البلاد إذ غنَمَناها الله، وحمى الأبرق بخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة، ولما فرَّت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طلحة وهو نازل على بزاخة.

خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر

وذلك بعدما جمَّ جيش أسامة واستراحوا، وركب الصِّديق أيضًا في الجيوش الإسلامية شاهرًا سيفه مسلولًا من المدينة إلى ذي القصة وهي من المدينة على مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصِّديق رضي الله عنهما، فسأله الصحابة منهم علي وغيره وألحُّوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقد لهم الألوية لأحد عشر أميرًا. وقد روى الدارقطني عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر إلى القصة واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «**لمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك» وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا».**

وقال سيف بن عمر: عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد لما استراح أسامة وجنده، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم، قطع أبو بكر البعوث، وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء: عقد **لخالد بن الوليد** وأمره بطليحة ابن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له. **ولعكرمة ابن أبي جهل** وأمره بمسيلمة. **وبعث شرحبيل بن حسنة** في أثره إلى مسيلمة الكذاب، ثم إلى بني قضاعة. **وللمهاجر ابن أبي أمية** وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح. **ولخالد بن سعيد بن العاص** إلى مشارف الشام. **ولعمرو بن العاص** إلى جماع قضاعة، ووديعة، والحارث. **ولحذيفة بن محصن الغطفاني** وأمره بأهل دبا، وبعرفجة، وهرثمة وغير ذلك. **ولطرفة بن حاجب** وأمره ببني سُليم ومن معهم من هوازن. **ولسويد بن مقرن** وأمره بتهامة اليمن. **وللعلاء بن الحضرمي** وأمره بالبحرين - رضي الله عنهم -

وقد كتب لكل أمير كتاب عهده على حدته، ففصل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصِّديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصِّديق كتابًا إلى الربذة، وهذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، نقرُّ بما جاء به، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده. أما بعد، فإن الله أرسل بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا لينذر من كان حيًّا ويحقَّ القولُ على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من

أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفي الله رسوله وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيَّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾فمن كان إنما يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظٌ لأمره منتقمٌ من عدوه، وإني أوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصيبكم، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهدِه الله ضالٌّ، وكل من لم يُعِنْه الله مخذولٌ، ومن هداه غير الله كان ضالًّا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ولن يقبل له في الدنيا عمل عبد حتى يقر به، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام، وعمل به اغترارًا بالله، وجهلًا بأمره، وإجابةً للشيطان، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ .

وإني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل، فإن أجاب وأقرَّ وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد غير الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبَوا عاجلوهم، وإن أقرُّوا حمل منهم على ما ينبغي لهم». رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

تلك حديقة ذات بهجة من حدائق خليفة رسول الله الأول، ما كان أن ينبت ثمرها إلا بإذن الله. وإن المسلمين ليحنُّون ويتشوَّقون لطعمها، وإن الله لهو الهادي إلى الصراط المستقيم... اللهم اهدِ هذه الأمة لأرشد أمرها ووفقها لإقامة خلافة راشدة تكون على ما كانت عليه زمن الخلفاء الراشدين الأول، اللهم آمين. ■

(إسرائيل) تتلاعب وتستغل وسائل التواصل الاجتماعي

أكد تقرير لموقع «ميدل إيست آي» البريطاني أن هناك قلقًا متزايدًا من أن القرارات التي تتخذها شركات وسائل التواصل الاجتماعي (جوجل وفيسبوك وتويتر ويوتيوب) لها تأثير ضار على حياتنا، ومن الحماقة اعتبارها منصات محايدة سياسيًا، والقول إنها شبكات ربحية ليست صحيحة على الإطلاق. وحذر موظفون تنفيذيون سابقون في وادي السيليكون من مستقبل بائس للبشرية بسبب هذه الشبكات. وأكد التقرير أن (إسرائيل) أدركت قبل أن تدرك معظم الدول الأخرى أهميتها في التلاعب بالمواقف والتصورات الشعبية، فذكر أنه منذ عام ٢٠٠٨م، ظهر أن مجموعة الضغط الإعلامية المؤيدة لـ (إسرائيل) كانت تنسق جهودًا سرية للتسلل إلى موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت لتحرير المدخلات و«إعادة كتابة التاريخ» بطرق مؤاتية لـ (إسرائيل). في عام ٢٠١١م، أعلن الجيش (الإسرائيلي) وسائل التواصل الاجتماعي «ساحة معركة» جديدة. وكذلك في عام ٢٠١٥م، أنشأت وزارة الخارجية (الإسرائيلية) مركز قيادة إضافيًا لتجنيد جنود سابقين لقيادة المعركة عبر الإنترنت، وتأسيس شركات تجسسية؛ حيث أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عمل وسائل التواصل الاجتماعي. وفي عام ٢٠١٧م، تم إطلاق تطبيق Act.IL وحشد أنصار (إسرائيل) أجهزة المخابرات (الإسرائيلية) للاتصال الوثيق به وطلب المساعدة في إزالة المحتوى، بما في ذلك مقاطع الفيديو. وفي عام ٢٠١٦م، تفاخرت وزارة العدل (الإسرائيلية) بأن فيسبوك وجوجل ويوتيوب «تمتثل لما يصل إلى ٩٥٪ من الطلبات (الإسرائيلية) لحذف المحتوى». وأنشأت رابطة مكافحة التشهير، وهي جماعة ضغط مؤيدة لـ (إسرائيل) لها تاريخ في تشويه سمعة المنظمات الفلسطينية والجماعات اليهودية المنتقدة لـ (إسرائيل) «مركز قيادة» في وادي السيليكون في عام ٢٠١٧م لمراقبة ما أسمته «خطاب الكراهية عبر الإنترنت». وفي نفس العام، تم تعيينها «مُخبرًا موثوقًا به» لموقع يوتيوب، مما يعني أن إبلاغها عن المحتوى لإزالته كان له الأولوية. وفي مايو، أعلن فيسبوك أن مجلس الرقابة الجديد سيضم إيمي بالمور، أحد مهندسي سياسة القمع (الإسرائيلية) على الإنترنت ضد الفلسطينيين. وبحلول عام ٢٠١٨م، ازداد غضب جمهور الفلسطينيين وأطلقت دعوات لمقاطعة فيسبوك متهمينه بأنه «وجه آخر للاحتلال».

الوعي: إن خطورة هذه الشبكات المشبوهة لا تقتصر على (إسرائيل) بل تتعدى ذلك إلى أن تكوّن من أهم أدوات الحرب على الإسلام. وهي تسعى لغزو عقول المسلمين والتحكم في تشكيل آرائهم ومواقفهم في قضاياهم المصيرية بعيدًا عن دينهم. وهذا السلاح لا يمكن تلافي خطره نهائيًا إلا من خلال دولة إسلامية. أما الآن فيمكن عن طريق التفاف المسلمين على بعضهم حول قضاياهم المصيرية والرجوع إلى النصوص الشرعية وبناء المواقف عليها، وإحياء المواقف الجهادية البطولية التي تحيي النفوس، والتركيز على أهمية وجود دولة الخلافة في حياة المسلمين ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا...

«الغرب مجرد حضارة لصوص»!!

صرح الصحفي البلجيكي ميشال كولون المعروف بموافقه المناهضة للسياسة الأمريكية، والذي يعتبر "إسرائيل هي الدولة الأكثر عنصرية في العالم» بتصريح انتشر كالنار في الهشيم؛ حيث أماط اللثام فيه عن واقع الاستغلال البشع للحضارة الغربية لشعوب العالم. هذا وقد تناقلت وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي هذا التصريح بسرعة وبشكل واسع غير مسبوق؛ نظرًا لما يعبر تمامًا عما يرونه فيه من صحة، تحت عنوان: «**الغرب مجرد حضارة لصوص!!** وقد جاء في هذا التصريح: "إن أضحت إسبانيا وفرنسا ثريتين في القرن الـ ١٧؛ فذلك لأنهما سرقتا الذهب والفضة من أمريكا اللاتينية بذبح الهنود دون دفع أي مقابل. وإن أصبحت فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة في هذا الثراء الفاحش؛ فذلك بفضل العبودية وسرقة البشر من أفريقيا دون أي مقابل. وبالمثل، بلجيكا وهولندا ثريتان جدًا منذ القرن الـ ١٩؛ وذلك من خلال سرقة المواد الخام من أفريقيا وآسيا دون مقابل. على مدى ٥ قرون، قامت مجتمعاتنا الغربية بنهب ثروات العالم الثالث، دون أثمانها. يمكننا أن نرسم جداول لكل البلدان الأفريقية الفقيرة، ونوضح من نهبها، وكيف، باختصار شديد، نحن، أو بالأحرى بعضنا، لصوص؛ ولهذا السبب صرنا دولًا ثرية على حساب الآخرين».

الوعي: لم تشهد البشرية حضارة متوحشة كحضارة الغرب الرأسمالية المتوحِّشة المتغوِّلة، تلك الحضارة التي أول ما قامت على عقيدة كافرة تقوم على (فصل الدين عن الحياة) والتي أول ما أقامت دولها على (إبادة الهنود واستعباد السود) والتي أول ما ابتدأت رحلاتها الدموية بـ (الحربين العالميتين: الأولى والثانية). وتحت شعار نشر مبدئهم وفكرتهم الرجسة في الحريات، اتخذت الاستعمار طريقًا لها لاستعباد الشعوب، ونهب ثرواتهم، وإثارة النعرات الشعوبية والقومية والمذهبية والطائفية بينهم لتقسيمهم وإضعافهم وجعل بأسهم بينهم، ولتسهيل السيطرة عليهم... فخلفت أينما حلَّت عواصف من الأزمات والمآسي في كل العالم: حروبًا واستغلالًا ونهبًا وإفقارًا وإضلالًا وتجهيلًا وتهجيرًا... فكانت بحق أسوأ حضارة تمر على التاريخ البشري، وهي ما زالت تجوب بإجرامها دول العالم وشعوبها من غير رحمة، وصار لا بد من وضع حد لها، وخير مصير لها هو زوالها... وهي بعد هذه الرحلة المضنية يمكن القول إنها وصلت الآن إلى حافة انهيارها، وهذا ما بدأ يعبر عنه عالميًا بـ «تغيير النظام الدولي» وصار العالم في وضع حساس لدرجة أنه عندما حدث وباء كورونا رافقه الحديث عن تغيير النظام الدولي. وفي الانتخابات الأمريكية طرح هذا الموضوع ورافقه الحديث عن فشل الديمقراطية في الدولة الديمقراطية الأولى. والحرب العالمية على الإسلام جعلت الدول التي أشعلتها تزيد سقوطًا في حضارتها نظرًا لما ترتكبه هذه الدول من ظلم لم يعد خافيًا، وعلى سبيل المثال ظهر ماكرون أنه يدافع عن العلمانية والديمقراطية ليدفع عنها سقوطًا قريبًا، ودافع عنها بشكل مقزز جعل من هو من أهلها من الشخصيات الفكرية والسياسية ينتقدونه وينتقدون «حرية التعبير» من غير حدود التي يتعلل بها. وهكذا بدأنا نرى من أهل هذه الحضارة من يصرح بفسادها، وهو مايؤكد مقولة الكاتب أن: «**الغرب مجرد حضارة لصوص»!!**